وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى- جيجل-
كلية الآداب واللغات الأجنبية
قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: مصطلحية

الرقم التسلسلي:

بلاغة المصطلح القرآني في التعبير عن الحقائق العلمية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطالب (ة):
مزان اسمهان

إشراف الأستاذ(ة):
أ.نورالدين سعيداني

لجنة المناقشة:

أ.نورالدين سعيداني.....مشرفا

د.بولفعة خليفة.....رئيسا

أ.خبراج سنوسي.....ممتحنا

السنة الجامعية :
2016/2015

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى- جيجل-
كلية الآداب واللغات الأجنبية
قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: مصطلحية

الرقم التسلسلي:

بلاغة المصطلح القرآني في التعبير عن الحقائق العلمية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطالب (ة):
مزان اسمهان

إشراف الأستاذ(ة):
أ.نورالدين سعيداني

لجنة المناقشة:

أ.نورالدين سعيداني.....مشرفا

د.بولفعة خليفة.....رئيسا

أ.خبراج سنوسي.....ممتحنا

السنة الجامعية :
2016/2015



شكر وتقدير

أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى أستاذي المشرف نور الدين سعيداني على ما حباني به توجيه وتصويب، وشملني به من عناية من أجل إعداد هذه المذكرة

وأبسط جزيل شكري وامتناني بين يدي اللجنة العلمية الموقرة التي تشرف على تقويم هذا البحث ونقده، الذي أتلقاه بتعطش كبيرلأنه يرفع من قيمته ، ويجعله على بصيرة

أقدم في الأخير شكري إلى أهلي وإخوتي الذين أعانوني في إنجاز هذا العمل وصبروا معي حتى إتمامه، وأسدوا لي العون والنصيحة.

الإهـــداء

إلى من أسرتني بنبع الحنان وعلمتني سبل العطاء

أمي الغالية والحبيبة

إلى من شقي لتثقيفي وتنويري

أبي العزيز

إليكما وحدكما هذا الإعتراف بجميل صنيعكما.

مقدمة:

إن الطريق الأسلم والنهج الأحكم إلى أي علم من العلوم، هو أن يُؤتَى العلم من أبوابه، فما من مسلك يتوسل به إلى فتح أبواب العلم غير العلم بمصطلحاته. والقرآن الكريم مجموعة من المفاهيم إذا حُصِّلت حُصِّلت كليات الدين، وإذا لم تُفقَه لم يُفقَه الدين، ولا سبيل إلى التَّفقه في النص بغير دراسة مصطلحاته، وألفاظه الكريمة المكونة له. فهي مفتاح وصول العقول إلى مراد الله عز وجل، والمصطلح القرآني تتباين دلالته بتباين امتداداته داخل النسيج المفهومي للنص القرآني، وتختلف معاني مبانيه باختلاف القضايا التي طُرح فيها، وتعتبر الحقائق العلمية من أهم القضايا التي تضمنها الكتاب العزيز، فبالإضافة إلى ما تضمَّنه القرآن من أحكام رائعة احتوى كذلك على إشارات علمية صارخة لم يصل إليها العلماء إلا بعد تجارب مريرة وجهود طويلة من الزمن. فالعلم التجريبي الحديث في محاولاته المتنوعة قد توصل إلى كشوفات واختراعات لا تخفى على أحد، وإذا أمعنَّا النظر في كثير من هذه الحقائق نجدها مطابقة تماما لكثير من الآيات في النص القرآني؛ فالقرآن الكريم تحدث عن العديد من الحقائق العلمية والكونية قبل أن يكتشفها العلم الحديث بأربعة عشر قرنا؛ تجلَّت في علوم البحار والأنهار والجبال والفلك والأرض والسحاب والسماء والنبات ومختلف الكائنات الحية.

وبما أن القرآن أصل للعلوم والمعارف، فحقَّ على الباحثين والدارسين ضبط مصطلحاته وتحرير مفاهيمها وضبط مصطلحات العلوم في ضوء لغته لأنها أصل الاصطلاح الثريِّ، وهو السبيل الوحيد للنهوض بالأمة العربية من سباتها، وإذا قمنا بتصفح تاريخ أمتنا القديم وجدناه حافلا بالمنجزات الجليلة التي كان القرآن الكريم أصل لنبعها وتفوقها الحضاري، وبفضل اعتناء القدماء بلغته العربية لاحتوائها على كل المبادئ والقيم التي ترتبط بها العلاقات الإنسانية، وكونها لغة المختبر ولغة الشارع والأقوام، ولغة الفكر والثقافة. كانت المحصلة ظهور نخبة من العلماء المسلمين حرَّكوا عجلة التاريخ العلمي بأفكارهم واختراعاتهم، استطاعوا في مدة زمنية صغيرة تحويل الرقعة الجغرافية التي كانوا يعيشون فيها، من مساحة رملية لا تعرف سوى حرب العشائر ووأد البنات وضيق الأفق، إلى منطقة إشعاع حضاري ماتزال أيامنا الحالية تشهد بصماتهم الفكرية وتعترف بابتكاراتهم الأصيلة والرصينة.

فقد أشار العلماء إلى وجود مجموعة من المعطيات قد فتحت الأبواب أمام فهم أفضل للنص القرآني، وتتمثل في المصطلحات التي تناولت حقائق العلم ونواميس الكون، فقد اشتمل القرآن على مصطلحات غاية في الروعة والبلاغة فيها حقائق علمية سمتها الأصالة والموضوعية فيما يتعلق بالكون ونواميسه. فالقرآن الكريم رسالة الله الخاتمة إلى الإنسان فيه تتسق الدلالات القرآنية لآياته الكونية مع الدلالات الكونية لآياته القرآنية؛ فما يجري في



الكون هومن سننه وفعله، فلا يكون بين كلامه عز وجل وفعله إلا التواؤم والالتئام والتناغم والانسجام والتكامل والانتظام.

والتعبير القرآني تعبير فريد في علوه وسموه، وكلام الله تعالى كلام غاية في الدقة والكمال والبلاغة، فلا تجد فيه حرفا زائدا، ولا كلمة زائدة، إنما بناؤه بناء محكم، ونسيج تتآلف وتتسق فيه الحروف والكلمات والآيات تآلفا متينا واتساقا معجزا. واختيار المصطلحات والكلمات في القرآن من أسرار اعجازه، ولذلك نجد أن البلاغيين الأوائل قد تلقوا الكلمة القرآنية بكثير من الانجذاب الروحي والعقلي، من حيث أنهم أدركوا ما تختزنه من عجيب التأليف، وبديع التصوير؛ فالكلمة القرآنية يكمن وراءها معنى وهدف، ولها من الخصائص والمميزات التي تتميز بها، كما أنها مختارة ومنتقاة بعناية لدقة المفاهيم والمعاني التي تشتمل عليها. والأداء القرآني يعبر عن قضايا ومدلولات ضخمة في حيِّز يستحيل على البشر أن يعبروا عنه؛ فقد عبّر القرآن عن مفاهيم عليمة وقضايا كونية شاسعة بأدق التعابير، وأوسع المداليل، والمصطلح القرآني في تعبيره عن الحقائق العلمية يقدم لنا جملة من المعارف المتراكمة التي تدل على الدقة في استخدام اللفظ، كما أنه يحدد المفاهيم العلمية بدقة، ويجعل المادة المعالجة أكثر تناسقا مع الفكر البشري، والمصطلح القرآني في حديثه عن الأغراض العلمية يتناول من المعاني والمفاهيم سطحَها وأعماقها وسائر صورها، كما أنه يتطابق مع المفاهيم العليمة الثابتة أتم تطابق، إنه يحيط بالظاهرة في دقة تامة، ويظهرها بإتقان، ويجليها، ويشعرنا بها أتم شعور. والقرآن كله بيان وبلاغة وقد اصطبغت جملة الحقائق التي أشار اليها بصبغته البلاغية؛ فقد صاغ القرآن هذه الحقائق في مصطلحات موجزة، سلسة وسهلة لم تصدم عقول الناس في القرون الأولى، ولم تتناف مع ما توصل إليه العلم الحديث، فقد بلغ القرآن في حديثه عن هذه المفاهيم العلمية مبلغا عظيما فاقت تصورات البشر حول الكون .

ليس البحث في القرآن ترفا علميا، ولا سياحة فكرية، بقدر ما هو ضرورة ملحة، وواجب ديني يفرضه الإيمان بخدمة الكتاب العظيم ولغته العجيبة الشريفة. إنه نص يظل البحث فيه موصولا لا ينقطع ما دام محفوظا من السماء، من أجل ذلك اخترت أن تكون دراستي خدمة لهذا الكتاب الجليل، والهدف من ذلك هو الكشف عن الأسرار البلاغية للمصطلحات العلمية في القرآن؛ إذ لطالما شاهدت البرامج الوثائقية التي تعالج قضايا الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وطالما سمعت أن القرآن تحدث عن الحقائق العلمية بإيجاز وبلاغة، فشدتني عبارة "ايجاز وبلاغة" وتبلورت لدي فكرة انجاز بحث حول هذ القضية في كتاب الله، ولهذا فقد عنونت دراستي ب"**بلاغة المصطلح القرآني في التعبير عن الحقائق العلمية**"؛ للخوض في بلاغة القرآن ومنتهى تعبيرها عن الحقائق العلمية التي توصل إليها العلم الحديث بعد بحوث ودراسات وتأملات في الكون، وذلك باختياره

لمصطلحات متناهية في الدقة والروعة، تقدم مفاهيم ومعلومات مهمة عن سنن الكون وقوانينه، أثبتها العلم الحديث وسبق القرآن بالإشارة إليها منذ أكثر من ألف وأربع مئة عام، بلغة علمية وتعابير لغوية محكمة، تدل على أن القرآن كلام الله، وذلك من دون خلل في الكلام بزيادة أو نقصان أو مبالغة، إنما وصف دقيق محكم.

وتتمحور هذه الدراسة حول سؤال مهم هو: ما سر بلاغة القرآن التي تصل إلى مطابقة حقائق العلم مطابقة تامة ودقيقة؟

ومن ناحية أخرى نحن ندرك جيدا من خلال معاجم اللغة أن المعنى اللغوي للبلاغة يدور حول التوصيل والإفهام، والبلاغة هي إنهاء وتوصيل المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، من هذا المنطلق أطرح سؤالا مهما، إلى أيِّ مدى بلغ القرآن من خلال هذه المصطلحات العلمية مراده في وصفه لحقائق العلم؟ وكيف بلَّغ هذه الحقائق في أحسن صورة من اللفظ؟

إن غايتي من هذه الدراسة الوصول إلى حقيقة أن القرآن يعطي الصورة الجامعة لهذه الحقائق، وذلك بالتعبير عنها بمصطلحات غاية في الدقة، ويترك التفاصيل لجهود العلماء الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض، والذين تجمعت ملاحظاتهم العلمية الدقيقة في صفحة السماء لتؤكد في منتصف القرن العشرين صدق ما قد أنزله الله تعالى في آخر كتبه.

ولهذا فقد انتهجت في هذا الموضوع خطة قسمتها إلى فصلين، أما **الفصل الأول** فقد وسمته بـ: **بين القرآن والبلاغة والحقائق العلمية**، وقد قسمته الى ثلاثة مباحث:

جعلت **المبحث الأول** لإضاءة بعض **المفاهيم والمصطلحات الأولية**، حاولت أن أقف من خلاله على المعاني اللغوية والاصطلاحية لكل من البلاغة والقرآن والمصطلح والحقيقة العلمية، كما تناولت المفاهيم التي يدور حولها المصطلح القرآني والمصطلح العلمي القرآني من خلال بحوث العلماء ودراساتهم.

وقد خصصت **المبحث الثاني للقرآن والبلاغة**، حيث أشرت إلى مزية التعبير القرآني الفريد من حيث خوضه في العديد من القضايا والمفاهيم دون أن ينحط عن بلاغته ورفعته. وقد تحدثت كذلك عن حسن اختيار القرآن للمفردات لدقة مدلولها، فلا يمكن أن تحل مكانها أي كلمة وتنوب عنها في توصيل المعنى المراد، وتناولت أخيرا قضية خصوصية المفردة القرآنية لكونها تتسع لتشمل مفاهيم وقيم كل عصر، وذلك لمرونة المفردة القرآنية التي لم تتصادم مع أفهام القدماء ولم تتعارض مع ما توصل إليه المحدثون من اكتشافات.

أما **المبحث الثالث** فقد عنونته ب: **القرآن والحقائق العلمية**، عرضت فيه إلى كون القرآن والعلم توأمين منذ القديم، فقد حث القرآن على طلب العلم والاستزادة منه في كل عصر ومصر، وإنه دعا عباده إلى التفكر في الآيات الكونية من أجل الاستبصار والهداية، وأخيرا أشرت إلى كون القرآن قد سبق العلم الحديث إلى حقائق علمية مبهرة.

أما **الفصل الثاني فهو دراسة تطبيقية لمجموعة من المصطلحات القرآنية العلمية** التي انتقيتها من مجموع ما أشار إليه القرآن من حقائق العلم، وقد جعلتها تحت مباحث ثلاثة، تناولت فيها بالترتيب الأرض والسماء والنبات في القرآن، واخترت لكل حقيقة كونية مجموعة من المصطلحات التي تدل عليها، وتتحدث عن أسرارها.

واعتمدت في هذه الدراسة على **المنهج الوصفي**، لأنه الأنسب للدراسة، واتبعت منهجية حصر المعاني اللغوية أو الاصطلاحية التي تدور حولها المصطلحات التي اخترتها، وتقصي المعنى الذي تتفق حوله أغلب المعاجم المستعملة، ثم مطابقة كل ذلك بآخر ما توصل اليه العلماء من أبحاث علمية لمعرفة إذا ما طابقت الرؤية العلمية المعاني اللغوية للمصطلحات، وإذا ما حُمِّل المصطلح القرآني معاني لا يحتملها، ثم قدمت تعليقا قصيرا حول سر استخدام كل المصطلح. وخاتمة كانت حوصلة لأهم نتائج البحث.

وحاجتنا إلى هذه الدراسات التي تخدم كتاب الله ولغته الشريفة كبيرة نظرا لقلة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، فمن ناحية الدراسات السابقة لم أطلع على أي دراسة تناولت الموضوع مباشرة، إنما اعتمدت كثيرا عل كتب الإعجاز العلمي والمجلات العلمية وبعض من الأمثلة المبثوثة هنا وهناك في كتب البلاغة، والتي جلَّت أمامي الطريق، منها كتاب" صفاء الكلمة لعبد الفتاح لاشين"، وكمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم لمحمد محمد داوود"، وكتاب المعجزة الكبرى لمحمد أبو زهرة. أما كتب الإعجاز العلمي فاعتمدت خاصة على كتب الدكتور زغلول النجار والمعجزات القرآنية لهارون يحيى.

وقد واجهتني صعوبات كبيرة في هذا البحث فقد كنت أظن أن ما كتبه القدماء حول إعجاز القرآن البلاغي سيكون لي عونا وسندا في هذا البحث، لكني أملي قد خاب بعدما اطلعت على عدد ليس باليسير من الكتب القديمة، فقد وجدت أن ما أعتبره العلماء في عصرنا قمة الإعجاز العلمي اعتبره القدماء مجازا لغويا.

ومن الصعوبات التي واجهتني أيضا اعتمادي على القرآن كله وهذا أمر جعل البحث يطول والإحاطة به أمر صعب وعسير، كذلك النص القرآني حمَّال أوجه لذا وجب عليَّ الحذر والاحتراز في التعامل معه، والخوض فيه

خوفا من الوقوع في الخطأ والزلل. وما صعَّب أمور العمل أكثر هو كثرة الآراء وتنوعها في مجال الإعجاز العلمي، وكثرة المؤلفات حوله والمقالات؛ لكن ولحساسية الموضوع وتعلُّقه بالقرآن الكريم فإني كنت حذرة في التعامل مع المراجع فاعتمدت على بعض العلماء والجهات التي تتعامل مع المادة بعلمية أكبر، وذلك لوجود اختلافات كثيرة في ما يخص الإعجاز العلمي للمصطلحات في القرآن. وأخيرا وجدت صعوبة كبيرة في تحميل كثيرا من المراجع في مجال الإعجاز العلمي للقرآن.

وختاما أتمنى أن يفتح هذا الموضوع آفاقا مستقبلية أكبر للبحث والدراسة كونه يخدم كتاب الله تعالى.

في الأخير أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف أ. **نورالدين سعيداني** الذي لم يدخر جهدا في رعاية هذا البحث من توجيه ونصائح. وأتقدم بالشكر إلى لجنة المناقشة الموقرة التي أخذت على عاتقها مسؤولية قراءة هذا البحث لأجل تقويمه وتقييمه، وإنّي لأسأل الله لها التوفيق والسداد، ولي التبصر والاستفادة في ضوء نصحهم وتوجيههم والحمد لله.

الفصل الأول

بين القرآن والبلاغة والحقائق العلمية

تـمهيد:

لقد كان للقرآن الكريم وقع كبير على قريش والعرب، فمصدق ومكذب، فقريش التي غدت لهجتها هي السائدة في جميع معاني الحياة العربية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية، وجدت في القرآن مايسفِّه أحلامها ويعيب آلهتها، ويساوي بين زعمائها وعبيدها، لكن عنادهم وتكبرهم على الحق لمَّا جاءهم واستهزاءهم به ما لبث أن ضعف أمام بلاغة لغة القرآن وروعته، فهذا الوليد بن المغيرة يشهد في القرآن شهادة أمام قريش قال فيها: **"والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجَناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا، إلاَّ عرف أنه باطل"**[1]، لكن عناده وخوفه منعاه من قول الحق فوصفه بالسحر رغم شهادته تلك، وهذا عمر بن الخطاب الذي خرج مستلا سيفه ليقتل الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنه أعلن إسلامه بمجرد أن قرأ الصحيفة التي كانت تحملها أخته فاطمة، فنطق شهادة الحق بقوله: **"ما أحسن هذا الكلام وأكرمه"**[2].

لقد غيَّر القرآن الكريم مفاهيم ومعتقدات وخرافات جاهلية كانت سائدة بين الناس ونقَّى نفوسا من أدران الشرك والجهل، وجعل الإنسان خليفته على الأرض يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فبعدما كانت المرأة بمفهوم عرب الجاهلية مجلبة للعار، كرَّمها الإسلام وأعطاها حق الميراث وحق اختيار الزوج، وجعلها شقيقة الرجل وشريكته في كل مناحي الحياة لقوله تعالى:﴿**ومِن آيَاتِهِ أن خَلَقَ لَكُم مِن أَنْفُسِكُم أَزْوَاجًا لتَسْكنُوا إِلَيْهَا وجَعَلَ بيْنَكُمُ مَودَّةً ورَحْمَةً إنَّ فِي ذَلكَ لآيَاتٍ لِقَومٍ يتفكَّرُونَ**﴾[الروم –21]، كما غير مفهوم القبيلة والتعصب لها، وأصَّل لمفهوم الأمة، وجعل التقوى أساس التفاضل بين الشعوب لقوله تعالى:﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَكُم شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[الحجرات–13].

والقرآن الكريم خطاب الله الكامل للإنسان، الكتاب الجامع المفتوح للدراسة والتأمل والنظر في كل زمان ومكان، وهو مصدر المعارف الدائم يَعظُم من يأخذ منه ويشرف من يلجأ إليه، عطاؤه عطاء متجدد، لا ينفد ولا يجمَدُ "إنما يعطي لكل جيل بقدر طاقته ولكل فرد بقدر فهمه، ويعطي للجيل القادم شيئا لم يعطه للجيل الذي سبقه"[3].

فبعدما سحر القدماء بكمال بلاغته، وفصاحة ألفاظه وروعة معانيه وشموليتها واتساقها ودقة صياغتها أعجز المحدثين بإشاراته العلمية وحقائقه الكونية بلغة علمية دقيقة تقطر فصاحة وبلاغة "فكيف لا وهو الكتاب

[1] عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، دار البحوث العلمية، الكويت، ط14، 1985، ص60

[2] المرجع نفسه، ص79

[3] محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن، إدارة الكتب والمكتبات، ج1، ص84

الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول في كل زمان ومكان، وجمع له بين المهابة والحلاوة "[1]، وهو المعجزة الكبرى التي أيد الله بها نبيه الأمي فكوَّنَ بها أمة في زمن يشبه الخيال[2].

إنَّ الرؤية العلمية القرآنية الجديدة لعناصر الكون ومظاهره قد حررت العقل المكبل بالخرافات والأساطير والسَّخافات، وأحلَّت محلَّهُ عقلا جاهزا لتقبل الحقائق بكل أصنافها، فالقرآن الكريم لم ينفك في كل موضع من نصِّه من الدعوة إلى إعمال الفكر والتأمل والملاحظة الحسية المؤدية إلى الإستنتاج المنطقي السليم حول عناصر الكون المخلوقة المسخرة له، والقرآن الكريم ليس كتابا متخصصا في العلوم الكونية، ولكن وردت حقائق علمية في ثنايا آياته لم تكن تعرف وقت نزوله، فالله سبحانه وتعالى قد أنزل هذا الكتاب للبشر ليهديهم الصراط المستقيم، وجعل في كتابه العزيز كل سبل السعادة والنجاة والسلامة في الدنيا والآخرة، ودعاهم إلى الحق إذ جاءهم بكل الطرق والوسائل؛ فقد سلك القرآن جميع المسالك من أجل هداية الانسان إلى صراطه المستقيم، فلفت الأنظار من أجل ذلك إلى الكون الذي يحيط به من كل جانب.

[1] مصطفى صادق الرافعي، السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، تحقيق أبي عبدالله البحيري، وائل بن حافظ بن خلف، دار البشير،ص13

[2] يراجع محمد محمد الصواف، القرآن(أنواره، آثاره، فضائله، خصائصه، تفسيره، ختمه)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1987، ص19

المبحث الأوّل : مفاهيم ومصطلحات

1-البلاغة:

إنّ عدم توصل البلاغيين العرب إلى تحديد مصطلح (البلاغة)، لم يمنع أن تمس البلاغة تغيرات كثيرة، فبعد أن كانت صفة للكلام الجيد والقول المبين، ومقياسا لقدرة المتكلم على ترويض الخطاب، أصبحت علما ذا قواعد بل إنقسمت إلى علوم ثلاثة (المعاني، البيان والبديع)، اختص كل منها بمصطلحاته ونظمه.

ولعل السبب وراء صعوبة الإلمام بتحديد مصطلح (البلاغة) يعود إلى كثرة المفاهيم التي احتوت عليها كلمة البلاغة منذ أن كانت تستعمل على مستوى لغة التخاطب في الإستعمال العادي، لذلك وجدنا من الباحثين من يخصص لها بحثا يستعرض فيه تحول دلالة الكلمة وتغير مفهومها وانقلاب أحوالها، وكلمة البلاغة لاشك تحتمل كل ذلك، وتتسع له لأنها مرت بأزمان وتحولات متعددة، بل كانت كلمة البلاغة مجالا صالحا لعرض ثقافات وعلوم واهتمامات كثيرة، لذلك لابد من الوقوف على الجذر اللغوي من أجل الكشف عن دلالة المصطلح، والانطلاق منه إلى أشكال الدلالة الأخرى، وذلك من أجل فرز الملابسات التي تمرُّ بها المفاهيم أو المصطلحات، وفرز المراحل التي تشكلت فيها دلالة المصطلح، أو اتخذت لها سمات محددة[1].

1-1 البلاغة في اللغة :

شاع استعمال مصطلح البلاغة في كتب الأدب، وكانت في البدء هي والفصاحة صنوين تستعملان معا أو تستعمل إحداهما مرادفة للأخرى، والبلاغة -في اللغة- الوصول والانتهاء، وفي لسان العرب يقال: بلغ الشيءُ يبلُغ بلوغًا وبلاغًا: وصل وانتهى. وتَبلَّغ بالشيءِ: وصل إلى مرادِه، والبلا غ ما يُتبلَّغ به، ويُتوصَّل إلى الشيء المطلوب. والبلاغة: الفصاحة، والبَلغُ والبِلغِ: البليغ من الرجال. ورجل بليغ وبَلغ وبِلغ: حَسَنُ الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه، والجمع بلغاء، وقد بلغ بلاغة: صار بليغا[2].

فالبلاغة في اللغة الإنتهاء والوصول إلى الغاية، يقال: بلغ فلان مراده: إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة: إذا انتهى إليها[3]،وهي كذلك الفصاحة، أي أن الكلمتين مترادفتين، وهذا رأي معظم اللغويين والبلاغيين الأوائل.

---

[1] يراجع محمد كريم الكواز، البلاغة والنقد(المصطلح والنشأة والتجديد)، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، ط1، 2006، ص11

[2] يراجع ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج8، ص419، 420

[3] يراجع محمد بن صالح العثيمين، شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، تحقيق عبد الرحمن النجدي، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الرياض، ط1، 1434هـ، ص34

1 -2 البلاغة في الاصطلاح:

"البلاغة مأخوذة من قولهم: بلغتُ الغاية إذا انتهيت إليها وبلَّغتها غيري، والمبالغة في الأمر: أن تبلُغ فيه جَهْدك وتنتهي إلى غايته. وقدسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب سامعه فيفهمُهُ"[1].وتقع البلاغة في الاصطلاح وصفا للكلام والمتكلم فقط، ولاتوصف الكلمة بالبلاغة لقصورها عن الوصول بالمتكلم إلى غرضه ولعدم السَّماع بذلك.

أ- **بلاغة الكلام:** يقصد بها: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"[2].فحال الخطاب يسمى **بالمقام** وهو الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة دون أخرى، ويسمى المقتضى **بالاعتبار المناسب** وهو الصورة المخصوصة التي تُورَد عليها العبارة[3].

ومن هنا مطابقة الكلام لمقتضى الحال تكون بعناية المتكلم بحال المتلقي والمستمع مع فصاحة مفرداته وجودتها، وسلامتها من الغرابة في الإستعمال والكراهية في السمع وتنافر الحروف. ومقامات الكلام تتعدد وتتباين فمقام الوصل يباين مقام الفصل، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، وخطاب الذكي يختلف عن خطاب الغبي ولكل كلمة مع صاحبتها مقام[4].

ومراعاة أحوال المخاطبين تكون بملاحظة نفسياتهم وثقافتهم وقدراتهم وعقولهم، فإذا استطاع المتكلم أن يصل بكلامه إلى مدارك وعقول من يخاطبهم وُفِّق وكان بليغا، أما إن علا وانخفض به عن المخاطبين لم يوفق وإن كان كلامه فصيحا.

ب-بلاغة المتكلم: "ملكة يقتدر صاحبها بها على تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال مع فصاحته في أي معنى قصده"[5].

فالبلاغة إذن ملكة والحقيقة أنها ملكة واكتساب، فالإنسان يمكن أن يكون بالتمرن بليغا، وإن لم يكن عنده ملكة، والملكة إذا لم يُتَمرَّن عليها ربما تنطفئ وتزول، ولهذا ينبغي للإنسان أن يمرن نفسه[6].

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية(علم المعاني)، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 2009، ص7

[2] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003، ص20

[3] يراجع السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني و البيان والبديع، تحقيق يوسف الصّميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص41

[4] يراجع الخطيب القزويني، المرجع السابق، ص20

[5] السيد أحمد الهاشمي، المرجع السابق، ص42

[6] يراجع محمد بن صالح العثيمين، المرجع السابق، ص40

فبلاغة المتكلم إذن صفة راسخة في نفسه يقتدر بواسطتها أن يعبر عن المعاني والأفكار والأحاسيس التي تخالجه في أي غرض كان، وعلى قدر مراعاة المتكلم للإعتبار المناسب تقاس بلاغة الخطاب والملكة البلاغية لديه، فكلما كان مراعيا لمقامات الكلام كان أشد قولا، وأكثر تأثيرا، و أقوى إقناعا وأقدر على التواصل وأقرب للقبول، وأبعد عن عثرات الكلام.

ولو تلمسنا هذه اللفظة في التراث العربي لرأيناها شائعة معروفة، **فالجاحظ (ت255هـ)** لم يعرّفها إلا بعد أن ذكر كثيرا من تعريفاتها في كتابه **(البيان والتبيين)** عند العرب والهنود والفرس، واكتفى بأن اختار قولا أعجبه يقول: **"لا يكون الكلام يستحق إسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"**[1].

وأشار **العسكري (ت395هـ)** إلى الأصل اللغوي للكلمة، فقال: **"البلاغة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، وبلّغتها غيري، ومبلغ الشئ منتهاه، والمبالغة في الشيء: الإنتهاء إلى غايته، فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، وسميت البُلغة بُلغة لأنك تتبلَّغ بها فتنتهي بك إلى ما فوقها وهي البلاغ أيضا"**[2].

فالبلاغة عنده صفة للكلام لا من صفة المتكلم.

ولم يعرف **ابن سنان الخفاجي (ت466هـ)** البلاغة تعريفا دقيقا، واكتفى بالإشارة إلى اضطراب القوم في حدها، وفرَّق بينها وبين الفصاحة، فقال: **"والفرق بين الفصاحة والبلاغة أن الفصاحة مقصورة على وصف الالفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وإن قيل فيها فصيحة، وكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغ"**[3].

فقد وضع ابن سنان حدا فاصلا بين البلاغة والفصاحة، وجعل الفصاحة للألفاظ والبلاغة في الألفاظ والمعاني.

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، ج1، 1998، ص114

[2] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952، ص6

[3] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1982، ص59

وحينما **قسم السَّكاكي (ت626هـ)** البلاغة ووضع معالمها في كتابه **(مفتاح العلوم)** عرفها تعريفا دقيقا فقال: **"هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدًّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد التشبيه والمجاز والكناية على وجهها"**[1].

فهو بهذا التعريف يدخل مباحث مايعرف بعلم المعاني وعلم البيان، ويخرج مباحث البديع لأنه في نظره وجوه يؤتى بها لتحسين الكلام.

في حين **الخطيب القزويني (ت739هـ)** ميز بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم، فبلاغة الكلام عند القزويني مطابقة لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف، ومقامات الكلام متفاوتة، وتطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه عبد القاهر الجرجاني النظم. أما بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ، وقال: إن كل بليغ -كلاما كان أم متكلما-فصيح، وليس كل فصيح بليغ، وإن البلاغة في الكلام مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره. وقسَّم البلاغة إلى ثلاثة أقسام: ما يحترز به عن الخطأ علم المعاني، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي علم البيان، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام علم البديع[2].

مما سبق نلخص إلى أن البلاغة هي "تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، مع ملائمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخاطبون"[3]. فعناصر البلاغة إذا لفظ ومعنى وتأليف للألفاظ يمنحها قوة وتأثيرا وحسنا، ثم دقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال السامعين، فرب كلمة حسنت في موطن كانت نابية في غيره، ورب كلام كان حسنا خلابا، حتى إذا جاء في غير مكانه خرج عن حد البلاغة، وكان غرضا لسهام الناقدين، فالبلاغة ليست في اللفظ وحده وليست في المعنى وحده، ولكنها أثر خلاب لازم لسلامة تأليف هذين وحسن انسجامهما[4].

ويعد القرآن الكريم العامل الرئيس على الشروع في الدراسات البلاغية بمختلف اتجاهاتها فبعد نزوله بهر العرب ببلاغته وروعته، فانكبوا على دراسة أسرار هذه البلاغة بما فيها من براعة التركيب، والتصوير، وسلامة اللفظ،

[1] أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1987، ص416

[2] يراجع الخطيب القزويني، المرجع السابق، ص20- 22

[3] علي الجازم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة(البيان والمعاني والبديع)، مكتبة البشرى، باكستان، ط1، 2010، ص8

[4] يراجع المرجع نفسه، ص9و11

ليبرهنوا على إعجاز القرآن، وليستوضحوا أحكامه، ويتفهموا معانيه، وقد أُلِّفت لهذا الغرض كتب كثيرة منها: إعجاز القرآن للباقلاني، النكت في إعجاز القرآن للرماني والخطابي، وغيرها.

2 –المصطلح :

2–1 في اللغة:

ليست المصطلحات مفاتيح العلوم فحسب، بل هي خلاصة البحث فيها في كل عصر ومصر، وإذا كان لكل قوم ألفاظ، ولكل صناعة ألفاظ، فإنه من البديهي أن لا تعرف آثار تلك الأقوام إلا بمعرفة ألفاظهم، ولا تفهم صنائعهم إلا بمعرفة كذلك المصطلحات التي تعبر عنها. ومن هنا كانت دراسة المصطلحات من أوجب الواجبات وأسبقها على كل متعلم أو دارس أو باحث في كل فن من فنون التراث، ففي بدايتها يبدأ الوجود العلنيُّ للعلم، وفي تطورها يتلخَّص العلم[1].

وعند البحث عن تأثيل للفظتي "**مصطلح**" و"**اصطلاح**" في ثنايا العربية، يتراءى للدارسين أنهما مأخوذتان من جذر لغوي واحد، وهو المادة اللغوية **صلح (ص، ل، ح)**، فالصلاح: ضد الفساد. تقول صلح الشيء يصلح صلوحا، وهذا الشيء يصلح لك، أي هو من بابتك[2].

وقد ورد في لسان العرب لإبن منظور: والمصطلح من الصُّلح وهو السِّلم، وقد اصطلحوا وصالحوا واصَّلحوا وتصالحوا واصَّالحوا بمعنى واحد. والصلاح ضد الفساد. والإصلاح نقيض الفساد. والاستصلاح نقيض الاستفساد وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه، وأصلح الدابة: أحسن إليها فصلحت، والصلاح بكسر الصاد: مصدر المصالحة، والعرب تؤنثها[3].وفي المعجم الوسيط: اصطلح القوم: زال مابينهم من خلاف وعلى الأمر: تعارفوا عليه واتفقوا، والاصطلاح: مصدر اصطلح واتفاق طائفة على شيء مخصوص ولكل علم اصطلاحاته[4].

فقد ثبت في المدونات العربية أن مادة "**صلح**" بمشتقاتها تدل على التعارف والاتفاق، ولا غرابة في وجود تقارب أو مناسبة دلالية بين الصلاح والاتفاق "**فإصلاح الفساد بين القوم لا يتم إلا باتفاقهم**". وقد تعقب بعض الباحثين معاني "**صلح**" في متون المعاجم العربية، فوجد أنها تدور حول مفاهيم الاتفاق والسلم والتصالح والتعارف وكل ما ينافي الخلاف والفساد، ثم ما لبثت دلالة "**الاصطلاح**" أن اتجهت تدريجيا إلى الإتفاق والمواضعة والتسمية، ومن ذلك ماذكره الجاحظ عن المتكلمين بأنهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم.

---

[1] يراجع الشاهد البو شيخي، مصطلحات نقذيه وبلاغية في كتاب البيان والتبيّن للجاحظ، دار القلم ، الكويت، ط2، 1995، ص13

[2] الجوهري أبي نصر اسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 2009، ص653(مادة صلح

[3] ابن منظور، المرجع السابق، مج2،ص516، 517، (مادة صلح)

[4] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص520

2-2في الاصطلاح:

إن لفظتي "**مصطلح**" و"**اصطلاح**" مترادفتان في اللغة العربية، وهما مشتقتان من الفعل "**اصطلح**" على وزن "**افتعل**" وجذره "**صلح**" بمعنى "**اتفق**"، لأن المصطلح أو الاصطلاح هو اتفاق طائفة مخصوصة على استخدامه للتعبير عن شيء خاص أو مفهوم علمي محدد، ولعل أول الإشارات في التراث العربي إلى الاصطلاح ما ورد في كتاب البيان والتبيين للجاحظ عند عرضه لكلام بشر بن المعتمر، وإبرازه في مكانة المتكلمين في أنهم "تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم"[1]؛ فالعرب في رأيه ارتجلوا ألفاظا معينة ليدل كل لفظ منها على معنى محدد ومفهوم واضح، عن طريق الإشتقاق، وما لم يكن له إسم ابتكروا له ألفاظا جديدة للدلالة عليه. وفي كتاب التعريفات للجرجاني عرفه بقوله: "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قام على تسمية الشيء باسم ما ينقل من موضعه الأول، وقيل: "الاصطلاح إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما"[2].وعرفه التهانوي في كتابه الكشاف ب"العرف الخاص"[3]. أما الكفوي فقال بأنه: "إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد"[4].

فالاصطلاح من خلال هذه التعريفات هو اتفاق لغوي بين أفراد جماعة لغوية حول مواصفات (اصطلاحات) إسمية في ميدان أو مجال معين، وتكشف هذه التعاريف على خاصية أساسية من خصائص المصطلح تتمثل في "المواضعة والاتفاق".

الاصطلاح أو المصطلح إذن هو التعارف المخصوص أو الاتفاق بين مجموعة خاصة لوضع مسميات لما يتداولون أو التعبير عن مفهوم من المفاهيم العلمية، فالاصطلاح بهذا المعنى يجعل للألفاظ دلالات جديدة غير مدلولاتها اللغوية الأصلية، فهو علم يبحث في أسس وضع المصطلحات وتوحيدها وطرائق بناءها[5].

يعد علم المصطلح أحد فروع علم اللغة التطبيقي، وهو من أظهر العلوم اللسانية، وأكثرها أهمية وهو علم يعنى بدراسة الأسس العلمية لوضع المصطلحات وتوحيدها وطرق بنائها وخصائصها ومشكلاتها وطرق معالجتها. وقد عرفه الدكتور علي القاسمي بقوله: "العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي

---

[1] الجاحظ، المرجع السابق، ص139

[2] الجرجاني محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، مكتبة لبنان، بيروت، 1985، ص27

[3] التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان، ط1،ج1، 1996، ص212

[4] أبو البقاء الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998،ص129

[5] يراجع مهدي صالح سلطان، في المصطلح ولغة العلم، بغداد، 2012، ص60

تعبر عنها"[1]؛ ولذلك فكل علم به حاجة إلى المصطلحات للتعبير عن مفاهيمه، وكل تصور جديد يدعو إلى خلق مصطلح جديد يناسبه ويعبر عنه، والمصطلحات على حد تعريف الخوارزمي مفاتيح العلوم وثمارها القصوى يقول الدكتور عبد المسدي: "ليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية حتى لكأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ليست مدلولاته إلاَّ محاور العلم ذاته ومضامين قدره"[2].

فقد قيل: إن فهم المصطلح نصف العلم، لأن المصطلح هو لفظ يعبر عن مفهوم، والمعرفة عبارة عن مجموعة من المفاهيم التي ترتبط ببعضها البعض، فمداخل العلوم من أبوابها، والمصطلحات مفاتيح هذه الأبواب، يقول المسدي:"إن مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان مابه يتميز كل واحد عما سواه"[3].

وقد ازدادت أهمية المصطلح وتعاظم دوره في المجتمعات المعاصرة التي أصبحت توصف بمجتمعات المعرفة والعلم حيث أصبح وجود المصطلح ضرورة حتمية من أجل تيسير سبل التواصل بين الأمم والشعوب، ونقل المعارف بين المعاهد والجامعات، حتى أن الشبكة العالمية للمصطلحات في **"فينا"** اتخذت شعارا **"لا معرفة بلا مصطلح"**[4]. وقد اهتم العرب منذ القديم بالمصطلح وخبروا خفاياه، فإلى لسان العربية نقلت العلوم من أقطار العالم، وترجمت حكم اليونان، وحولت آداب الفرس، وقد عدَّ علماء العرب هذا التبادل ضرورة من ضرورات حياة اللغة لنموها وتطورها.

[1] علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، 2008، ص269

[2] عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، ص11

[3] المرجع نفسه، ص11

[4] محمد مراياتي، (المصطلح في مجتمع المعلومات: أهميته وإدارته)، من بحوث المؤتمر الثالث لمجمع اللغة العربية، دمشق، أكتوبر/تشرين الأول، 2004

3 ـ القرآن :

3-1في اللغة: مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى:﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِع قُرْآنَهُ**﴾ [القيامة17-18]، أي قراءته[1].

3-2 في الإصطلاح:

ذكر العلماء رحمهم الله للقرآن الكريم تعريفا اصطلاحيا يقرب معناه، ويميزه عن غيره، فعرفوه بأنه: "كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر"[2].

فالكلام جنس في التعريف يشمل كل كلام، وإضافته إلى **الله** تعالى تخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة، والمنزّل تخرج كلام الله تعالى الذي استأثر به سبحانه، فمن كلام الله ما ينزّل إلى البشر ومنه ما يستأثر بعلمه، وبقولنا المنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم يخرج ما أنزل على الأنبياء من قبله مثل التوراة والإنجيل[3].وجملة المعجز بلفظه يخرج غير المعجز من كلام الله تعالى كالأحاديث القدسية، وسائر الكتب السماوية؛ فلا تسمى قرآنا لأن الله تبارك وتعالى لم يتحدّ البشر أن يأتوا بمثلها، وجملة المتعبد بتلاوته تخرج قراءات الآحاد والأحاديث القدسية؛ لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة وليس قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك. المكتوب في المصاحف فيخرج غير المكتوب في المصاحف من كلام الله تعالى كمنسوخ التلاوة فلا يسمى قرآنا. وأخيرا المنقول بالتواتر: فيخرج غير المنقول بالتواتر كالقراءة الشاذة[4].

إن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام بألفاظه العربية ومعانيه الجليلة، هو المعجزة الخالدة الباقية على مر الأجيال والعصور جعله الله "دستورا ونبراسا للناس يهتدون بهداه، وصراطا يسيرون على نهجه، وإماما يقتدون به، وهو المحفوظ بين دفتي المصحف المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس"[5]، أودع فيه الهدي والنور وأبان فيه العلم والحكمة، وجعله دستورا لهذه الأمة ومنهاجا لها، فمن تمسك به نجا ومن تنكّب عن طريقه هلك وغوى. وهو أعظم رسالة سماوية وأعلاها مكانة، فقد تولى الله سبحانه وتعالى حفظه، وصانه من كل تحريف وتبديل لقوله تعالى:﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا**

---

[1] المعجم الوسيط، ص722(مادة قرأ)

[2] محمود الدوسري، عظمة القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1426هـ ،ص49

[3] يراجع محمد أحمد معبد، نفحات من علوم القرآن، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط1، 1986، ص13

[4] يراجع محمود الدوسري، المرجع السابق، ص50

[5] محمد بن عبد الرحمن السيف، الشيعة وتحريف القرآن، دار الايمان، الاسكندرية، ص5

لهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر9]، وكان هذا الوعد الإلهي "مزية للقرآن الكريم من بين الكتب السماوية، حيث بدِّلت تلك وحرفت والقرآن مازال ولم يزل أهله يحفظونه في صدورهم ومصاحفهم، يتلونه آناء الليل وأطراف النهار، وينفدونه جيلا بعد جيل في حياتهم الفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بل وفي جميع جوانب الحياة البشرية"[1].

إن هذا الحفظ السماوي للقرآن الكريم أعطى له مكانة خاصة في قلوب أهله فأعلى منزلته بينهم، يتلونه آناء الليل أطراف النهار، وهذه العناية الربانية التي شملت القرآن وحده حفظته من التبديل والتحريف، على غرار باقي الكتب السماوية التي لم تسلم من لهو ولعب أهلها .

لقد وصف الله تعالى كتابه العزيز بأوصاف كثيرة تشير كلها إلى عظمته وأهميته في بناء شخصية الإنسان المسلم واستحكام أركان المجتمع الإسلامي؛ فوصفه بأنه الحق، وأنه نور وهدى وشفاء لما في الصدور، وألزم العالم كله بالخضوع لأحكامه، وقرر:﴿**وَمَنْ لَم يَحْكُم بِمِا أَنْزَلَ اللهُ فأولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ**﴾[المائدة 44]، وتحدى الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، وكان له شأن بالغ في الدعوة الإسلامية على عهد النبي صلى الله عليه وسلم حتى فزع أساطين الفصاحة والبلاغة من كفار قريش حينما ظهرت فاعليته في جذب عيونهم وسرائرهم إلى الإسلام[2]، فقالوا لأتباعهم:﴿**لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا القُرْآن وَالْغَوا فيهِ لَعَلَّكُم تَغْلِبُون**﴾[فصلت26].

ففي القرآن الكريم سر خاص يشعر به كل من يسمعه أو يقرأ عباراته، وهذه المزية الخاصة به سحرت العرب منذ اللحظة الأولى بجاذبية نغمه وهم أساطين البلاغة والفصاحة؛ ولذلك سعوا أن يحولوا بين القرآن وأسماع الناس لأنهم يعلمون جيدا مدى فاعلية القرآن في استمالة قلوب البشر إليه، ومن هنا كانت: "جاذبية النغم القرآني خصيصة عظمى من خصائص القرآن تبرز آثارها للعيان حين ترى تعلق الأعاجم في عصرنا بالقرآن وحفظهم له وكثرة تلاوته دون أن يفقهوا بيانه، ولهذه الخصوصية دور كبير في زماننا في استمالة أصحاب الديانات الأخرى وأفكارهم"[3]، وما نلاحظه في عصرنا من اعتناق العديد من الغرب للدين الإسلامي لأكبر دليل على أنه دين الحق.

كما اختصه الله تعالى بأسماء دون غيره من الكتب السماوية، وهذا إنما يدل على شرف القرآن وعلو منزلته، فسماه بالقرآن لقوله تعالى:﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرآَن**﴾[البقرة185]، وسماه بالفرقان لقوله

[1] ابن الجوزي، نواسخ القرآن، تحقيق محمد أشرف علي الملباري، المجلس العلمي لإحياء التراث الاسلامي، المدينة المنورة، ط1، 1984، ص13

[2] يراجع محمود بن حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق عبد القادر عطا، دار الفضيلة، ص5

[3] حسن ضياء الدين عتر، المعجزة الخالدة، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ط3، 1994، ص271

تعالى:﴿**تَبَارَكَ الذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالِمِينَ نَذِيرًا**﴾[الفرقان1]، والكتاب، قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ الكِتَابُ لاَرَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَقِينَ**﴾[البقرة2]، والذكر والوحي والروح[1] لقوله تعالى:﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنَ أَمْرِنَا**﴾[الشورى52] .

ولأن القرآن الكريم هو خاتمة رسالات السماء إلى أهل الأرض فقد أودع فيه - عز وجل – من "وجوه الإعجاز ما يُعجز كل عصر وأهله، وما يكون إدلالا في كل زمان بصدقه"[2]، فالقرآن الكريم بحر زاخر من المعجزات التي لا تنقضي في كل عصر ومصر، وهو كالشجرة الطيبة التي وصفها الله عز وجل بأنها:﴿**تُوتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا**﴾[إبراهيم 25]، ومعجزات القرآن هي بعض من ثمرات هذا الكتاب الكريم التي لا تنقطع، ولذلك وصفه من أوحاه الله إليه وأرسله رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم بأنه كتاب***لا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه***[3]، "والقرآن سبق زمانه بل إنه سابق لكل زمان، فكم من عبر في هذا الكتاب وعجائب لم تكتشف نفسها إلا بعد أن أتى الزمان بما يجعل الناس قادرين على رؤيتها"[4].

إن القرآن الكريم هو كتاب الله المعجز الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنكشف عن جواهره ومكنوناته لمفسر واحد، ولا لجيل واحد، بل الأمة دائما في حاجة إلى هدايته باستمرار.

---

[1] يراجع محمد سالم محيسن، تاريخ القرآن، دعوة الحق، العدد15، السنة الثانية جمادى الآخرة، 1402هـ، ص6، 7

[2] بهاء الأمير، النور المبين، رسالة في بيان إعجاز القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2002، ص10

[3] السيد هاشم حسين البحراني، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، ج1، 2006، ص21، (باب فضل القرآن).

[4] لؤي فتوحي، شذى الدركزلي، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم (تاريخ بني اسرائيل المبكر)، دار الحكمة، لندن، ط1، 2002، ص2

4- المصطلح القرآني:

إذا كان المصطلح عامة هو اللفظ الدال على معنى معين أو مفهوم خاص ضمن مجال علمي أو فني محدد فإنه بإضافته إلى القرآن يدل على "اللفظ القرآني الذي يعبر عن مفهوم قرآني خاص ضمن التصور القرآني العام"[1].

فمن جهة اللفظ، يطلق المصطلح القرآني على "كل أسماء المعاني وأسماء الصفات المشتقة منها في القرآن الكريم، مفردة كانت أم مركبة، ومطلقة كانت أم مقيدة، وعلى الصورة الاسمية الصريحة، أم على الصورة الفعلية التي تؤول بالاسمية"[2].

ومن جهة الدلالة والمفهوم، يطلق المصطلح القرآني على معاني الألفاظ- ذات الأشكال السابقة –المشتملة على دلالة خاصة "صارت لها داخل الآيات القرآنية"[3]فصبغتها بصبغة اصطلاحية. أما من جهة التصور والمجال فإن المصطلح القرآني هو ما كان "لفظه منتميا إلى نص القرآن الكريم المحدد بالفاتحة ابتداء وسورة الناس انتهاء، وما كان مفهومه مستمدا من التصور القرآني"[4].

واشتراط هذين الشرطين يخرج من دائرة المصطلح القرآني كل الألفاظ الغير موجودة في القرآن الكريم وإن حملت دلالة قرآنية، أو كل لفظ موجود في القرآن لكنه يخلو من تلك الدلالة القرآنية المميزة بمعنى استعملت في القرآن استعمالا لغويا محضا[5].

وفي تعريف آخر للمصطلح القرآني يقصد به "الكلمات التي استعملها القرآن في معنى خاص غير المعاني التي وردت في الشعر الجاهلي، وفي استعمال العرب قبل نزول القرآن الكريم فباتت في متعارف الناس مصطلحات خاصة بتلك المعاني التي حملتها في استعمال القرآن الكريم"[6] .

لقد استعمل القرآن الكريم مصطلحات عدة على معنى أنه حمَّل ألفاظا وتراكيب دلالات معينة، وخاطب بها الناس فأصبحوا يفهمونها بمقتضى اطّرادها في دلالتها تلك دون أن يكون لهم دخل في ذلك أكثر من التلقي، فالقرآن الكريم ليس تواطؤًا بين طرفين بقدر ما هو كلام الله وحده، كما أن المصطلح ليس رهينا بالاتفاق على

[1] فريدة زمرد، مفهوم التأويل في القرآن الكريم، مركز الدراسات القرآنية، المغرب، ط1، 2014، ص61

[2] الشاهد البو شيخي، نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن وعلومه، ص1

[3] المرجع نفسه، ص2

[4] فريدة زمرد، المرجع السابق، ص62

[5] المرجع نفسه، ص62

[6] عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1985، ص22

الوضع بين طرفين، بل قد يكون موضوعا من طرف واحد دون اعتبار لموافقة المخاطبين أو اشتراكهم في وضعه؛ وإنما يكون دورهم هو تقصي الاستعمالات من قبل ذلك الطرف ليقفوا على الدلالة المطردة في تعبيره[1].وهذا هو حال مصطلحات القرآن الكريم التي تكتنز خصوصية مفهومية صارت لها داخل آيِ القرآن وأصبغت بها من خلال النص القرآني .

المصطلح القرآني منظومة فكرية جديدة أراد أن يطمس الأفكار والمفاهيم الجاهلية كوأد البنات والسحر والنفث في العقد وغيرها من العادات الجاهلية الذي نهى عنها الإسلام وحرمها وعد الكثير منها من الكبائر، وأحدث صيغا جديدة لم يكن يعرفها العرب من قبل بهذه الصورة الجديدة التي استعملها القرآن الكريم كمصطلح نفاق، وفسوق، ومصطلح قرآن نفسها، وكل هذه المصطلحات موجودة في اللغة، وفي الشعر الجاهلي لكنها لم تستعمل قط بالدلالات التي جاء بها القرآن الكريم في الشعر الجاهلي .

لقد أحدث المصطلح القرآني تطورا دلاليا في لغة العرب، حيث أضفى السياق القرآني على الألفاظ والتراكيب دلالات جديدة لم تكن تستعملها العرب بهذا المعنى، كما أنه صحح أوضاعا فكرية كانت عليها المجتمعات الإنسانية، وأبطل خرافات وبيّن حقائق غفل عنها الإنسان، وبين حقيقة خلق الإنسان وتكليفه وأرشده إلى سبل النجاة والفلاح، كما أنه دعاه إلى النظر والتفكّر والتأمل فيما أُنْعِم عليه من خيرات ونعم؛ وفي هذا السياق يقول أحمد بن فارس في كتابه الصاحبي: "**كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر، بزيادات زيدت وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، وشغل القوم بعد المناورات والتجارات، وتطلب الأرباح والكدح للمعاش في رحلة الشتاء والصيف، وبعد الإغرام بالصيد والمعاقرة والمياسرة بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.....**"[2] .

إن المبادئ القرآنية بدلت عادات كثيرة كانت شائعة في المجتمعات الإنسانية، ومنها المجتمع العربي الذي نزل القرآن الكريم بين أفراده، كما أنه أتى برؤية جديدة لعناصر الكون، فبعدما حظيت العديد من عناصر الكون بلقب الألوهية عند العرب كالشمس والقمر والماء والحيوانات وغيرها، فنحتوا لها أصناما وقدموا لها القرابين لتعفو عنهم وتمنحهم رضاها وبركاتها، نبذ القرآن هذه الرؤية الوثنية، ودعا إلى عبادة الله الواحد لكونه خالق هذه

[1] يراجع فهد الرومي، تحريف المصطلحات القرآنية وأثره في انحراف التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط1، 2003، ص8

[2] أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1997، ص44

البسيطة وهو الأحق بالعبادة والتقديس وطلب الرضا والغفران، فأبطل بذلك خوف الإنسان من هذه العناصر المسخرة له، وفتح له باب البحث فيها والانتفاع بها.

كما أن القرآن الكريم لم يكتف بتوسيع دلالات الألفاظ، وإثراء الرصيد اللغوي للعربية بل حدد دلالات بعض الألفاظ تحديدا دقيقا، بحيث نجد أن كل لفظة في القرآن الكريم تؤدي معنى لا يمكن أن تؤديه لفظة أخرى[1]. وهذه حجة بالغة على إعجاز القرآن الكريم واصطلاحية ألفاظه "وإذا كان هناك نص ما في لغة ما قد أحدث ثورة دلالية وشكل طفرة مفهومية، تحتاج ليحدث بعض من بعضها في مكان ما، وزمان ما إلى قرون وقرون، فهو القرآن العظيم"[2].

المصطلح القرآني له من الخصوصية والخصوبة المفهومية ماليس لمثله في أي علم من العلوم، لكون الألفاظ الشرعية والمصطلحات الدينية فيها من الشفاء والغناء والحرمة والتعظيم ماليس في غيرها، كما أن فيها من الحكم والمعاني مالا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء[3]، لقوله تعالى:﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ من خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[فصلت 41،4].وقوله:﴿**أَلَرَ كِتَابٌ أُحْكِمَتَ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾[هود 1] .

وختاما فإن الطريق الأسلم إلى أيِّ علم من العلوم، هو مصطلحاته التي يتوسل بها إلى فهم هذا العلم، والقرآن الكريم مجموعة من المفاهيم والمصطلحات، هي مفتاح الوصول إلى مراد الله عزَّ وجلَّ، تتناول في صميمها قضايا غيبية وتشريعية.... إلخ، وقد طرحت فيه إلى جانب القضايا التشريعية والغيبية والحكمية، قضايا علمية تمس قوانين الكون وأنظمته.

[1] يراجع فهد الرومي، المرجع السابق، ص9

[2] الشاهد البو شيخي، المرجع السابق ، ص2

[3] يراجع ابن تيمية، النبوات، تحقيق عبد العزيز بن صالح، المجلس العلمي في الجامعة الاسلامية، الرياض، ط1، ج2، 2000، ص276

5 - المصطلح العلمي القرآني:

المصطلح في العلوم كلمة لها دلالة معينة متفق عليها بين العلماء، والمصطلح يمكن أن يكون كلمة أو أكثر وهو جزء هام من المنهج العلمي السليم، ولا يستقيم إلاّ إذا قام على مصطلحات دقيقة تؤدي الحقائق العلمية أداء صادقا، وصياغة المصلح يحتاج إلى مهارات علمية ولغوية بالغة الدقة، فالمصطلح يجب أن يكون معبِّرا تعبيرا دقيقا بلغة واضحة، وعبارة موجزة ليؤدي الهدف الذي وضع من أجله[1] .

وبما أن القرآن الكريم أصل للعلوم والمعارف وينبوع للحقائق والإشارات العلمية فحقَّ على الباحثين والدارسين ضبط مصطلحاته وتحرير مفاهيمها لأنها أصل الاصطلاح الثري، فقد ثبت علميا وبما لا يقبل الجدل أن الكتاب العزيز قد سبق إلى الإشارة إلى ظواهر كونية وحقائق علمية لم يصل إليها العلماء إلاّ بعد تجارب مريرة ومراقبات طويلة ونفقات باهضه على مدى قرون من الزمن، وذلك بلغة علمية دقيقة وتعابير لغوية محكمة تدل على أن القرآن ليس من كتابة بشر بل أنزله الذي يعلم السّرَّ في هذا الكون، يقول عزَّ من قائل:﴿**قُلْ أَنْزَلَهُ الذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[الفرقان6]، حيث يعطينا القرآن بإيجاز وسخاء وبلاغة مصطلحات علمية تحوي معلومات هامة عن تركيبة الغلاف الجوي والتوازن البيئي، وبداية الخلق ونهايته، ومراحل نزول المطر، وأنواع السحاب، ومواقع النجوم، وكروية الأرض، وزينة السماء، ومنازل القمر، وأوتاد الأرض، وحركة الجبال، والبروج الكونية، وتعاقب الليل والنهار....إلخ.

والقرآن الكريم فضلا عن احتوائه لهذه الحقائق، وصفها وصفا علميا دقيقا بمصطلحات محكمة فاقت اصطلاحات العلماء والمتخصصون دقة، وهذا إعجاز في حدّ ذاته، وبالرغم من أنّه "تناول العديد من القضايا والموضوعات إلى جانب القضايا العلمية، حكم، وعظ، حجاج، وعد ووعيد، آداب، تعليم، فإن أسلوبه ظلّ في المنزلة العليا فصاحة وبلاغة"[2]، فالتعبير القرآني تعبير فريد في علوّه وسموّه، ومثلما بهر القدماء العرب بروعة بيانه وهم كانوا أرباب البلاغة والفصاحة، أعجز علماء القرن العشرين بهذه المصطلحات العلمية القرآنية الدقيقة والرقيقة.

وأسلوب القرآن في عرض هذه الحقائق أسلوب فريد يأسر لبَّك فيه بجمال وروعة وبراعة الصياغة المرهفة الهادفة، فتجد أسلوبه خاليا من الجفاف العلمي وجموده لكونه أسلوبا يخاطب العقل والروح معا، حتى إنك تعجز عن

[1] يراجع مسعد سلامة مندور، (مصطلحات الطقس والمناخ في القرآن الكريم)، المجلة العالمية لبحوث القرآن، العدد2، المجلد1، مركز بحوث القرآن، ماليزيا، 2012 ص89

[2] حسن ضياء الدين عتر، المرجع السابق، ص267

استبدال كلمة بأخرى أو تقديم فقرة على أخرى، في حين إذا عمد العلماء إلى تقييد مفهوم علمي أو فكرة أو نظرية تجد أسلوبهم اتجه إلى العقل يغذّيه بالمعرفة، فيغلب عل مصطلحاتهم الإيضاح والسهولة، لأن الأسلوب العلمي لغة العقل المدقق، في مقابل ذلك يخسر أسلوبهم الفخامة والجزالة والقوة والإثارة[1] .

لقد سبق هذا الكتاب العزيز إلى عدد من حقائق الكون وظواهره، التي لم تتمكن المعرفة الإنسانية الوصول إليها إلاّ بعد قرون متطاولة من تنزّل القرآن تزيد عن العشرة قرون كاملة في أقلّ تقدير لها، ولا يمكن لعاقل أن يتصور مصدرا لهذه الحقائق غير الله خالق السماوات والأرض لقوله تعالى:﴿**وَقُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[النمل93].

وإذا قمنا بقراءة سريعة للمصطلحات المتداولة بين الناس فإننا نلاحظ استخدام الناس لمصطلحات قد لا تنتمي لفضائها الحقيقي، ومن أجل ذلك بذل المسلمون منذ القديم جهودهم من أجل إخراج المصطلح العلمي من دون شوائب إغريقية أو سريالية. في حين المصطلح العلمي في القرآن الكريم يقدم لنا جملة من المعارف المتراكمة التي تدل على الدقة في استخدام اللفظ، فيضع لهذه الألفاظ بنيات خاصة لتصبح اتجاها فكريا يتعدى مجال تخصص اللفظ في الزمان والمكان، كما أنه يحدد المفاهيم بدقة، ويجعل المادة المتناولة أكثر تناسقا وتجانسا مع الفكر البشري؛ لأن لغته هي اللغة نفسها التي ولد بها الإنسان، فنجده يجعل الإنسان يتأقلم بسهولة ويسر مع المصطلحات العلمية المتداولة فيه[2].

فحين تقرأ قوله تعالى:﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفَ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ**﴾[النور43]، التي كان الناس يمرون عليها يرونها مجازا، وهي في الحقيقة من أمهات الحقائق الكونية التي تتعلق بمراحل نزول المطر من السماء وأنواع السحاب. فالحديث عن الإعجاز العلمي في هذه الآية يضعنا مباشرة أمام هذه المصطلحات العلمية القرآنية، فلا يمكن أن نتحدث عن الإعجاز فيها من دون فهم لمصطلحات السحب، وإزجاء السحب، وتراكم السحب، وجبال السحب، والبرد، والسنا، والبرق. إن التأمل والبحث في هذه المصطلحات يقودنا مباشرة إلى فهم دقائق العلوم ومعرفة كيفية نزول المطر، فالله سبحان وتعالى يزجي السحب المتنافرة في السماء فيدفعها برفق إلى خطّ التجميع، ثم يؤلّف بينه ويجمع بين متفرقه فيكثّره وينمّيه

[1] يراجع حسن ضياء الدين عتر، المرجع السابق، ص267

[2] يراجع إدريس الخرشاف،(لغة القرآن مفتاح العلوم التجريبية)، مجلة حراء، العدد32، السنة الثامنة(سبتمبر ـ أكتوبر)، اسطنبول، 2012، ص28

ويبسطه، فبعدما كانت كل سحابة كائنا مستقلا وتنظيما وتركيبا مستقلا، تآلفت واتّحدت وأخذت تنظيما واحدا، ثم يركمه ركما فيجعله متراكما يركب بعضه بعضا، فيزداد سمكه، وبالتالي زيادة قوته من ناحية أمطاره ورعده وبرقه، وعقب انتهاء الطاقة في الركم ينزل المطر الذي كان مثقلا بحمله السحاب[1].

لم يتوصل الإنسان لهذه الحقائق سوى في القرون الثلاثة الأخيرة، فلم تعرف الأسرار العلمية لنزول المطر من السحاب ودور الرياح في ذلك إلاّ في أواخر القرنين التاسع عشر والعشرين مع العلماء كولييرcoulier،1875)، وأتيكنAtiken، 1881)، وويجنزWegener،1911)، وفي القرن التاسع عشر ظلت أكثر معلومات الانسان عن الرياح خاطئة، فهي خفقات أجنحة الملائكة أو تنهدات الأرض أو الغيوم[2].

وشتان بين ذكرك لمراحل نزول المطر من السماء مجرّدة بذاتها، دون ربطها بمسببها وخالقها، وبين أن تذكر تلك المراحل وأنت تتأمل الجلال والبهاء والسمو بين قراءة العقل وحضور الخشية، لكون الخطاب القرآني خطاب للعقل والروح معا.

ومصطلح **الفتق** الذي يعتبر أحد المصطلحات العلمية في العصر الحديث، إذ يدور النقاش حول وضعية الكون وديناميته، حيث دحض علماء القرن العشرين فكرة الكون الأزلي الثابت، وأثبتوا بالبرهان أن للكون بداية على شكل انفجار هائل يسمى "**الانفجار العظيم**"Big Bang. ففي الوقت الذي يعبّر العلماء عن هذه الحادثة بمصطلح الانفجار العظيم، عبّر عنها القرآن بمصطلح الفتق، وإذا قارنا بين المصطلحين، فإن الفرق يكمن في أن المصطلح الأول يعبّر عن الانفجار والانفجار يعقبه الدمار والخراب، في حين المصطلح القرآني الدقيق يعبّر عن حادثة سيظهر على إثرها الحياة والوجود، وهذا يوافق ما حدث تماما بعد الانفتاق[3]، مصداقا لقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾[الأنبياء30].

وفي السياق نفسه في الوقت الذي يطلق فيه علماء الفيزياء الكونية على وضعية الكون في نهايته مصطلح "الانكماش الأعظم" big Crunch، فإن القرآن يستخدم مصطلح "**الطّي**" مصداقا لقوله تعالى:﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾[الأنبياء104] .

[1] يراجع أحمد مصطفى متولي، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة النبوية، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2005، ص137

[2] يراجع مسعد سلامة مندور، المرجع السابق، ص102

[3] يراجع إدريس الخرشاف، المرجع السابق، ص29

والعجيب في ذلك أن العلماء يتصورون أن الكون عبارة عن ورقة مسطحة ومنحنية قليلا، وسوف تنكمش وتطوى على نفسها في نهاية المطاف، وبعد نهاية الكون سيحدث خلق جديد وانفتاق آخر كما حدث الانفتاق الأول، وهذا ما أشار إليه القرآن في مصطلح **الطي** .

وعلى صعيد آخر، فقد ظلت فكرة ثبات الأرض ومركزيتها في الكون مسيطرة على الفلكيين طوال الألف وخمس مائة عاما منذ أن كتب بطليموس الاسكندري دراسته المعنونة "المجسطي" في القرن الأول للميلاد، كان النموذج البطلمي كغيره من النماذج التي لقى قبولا عالميا تقريبا حتى ظهور نموذج أبسط يعتمد مركزية الشمس، وعلى الرغم من الإجماع بثبات الأرض ومركزيتها في ذلك الوقت إلاّ أن هذا المفهوم لا يظهر على الإطلاق في أيٍّ موضع من القرآن الكريم، يقول تعالى:﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ والشَّمْسَ والقَمَرَ كلٌّ في فَلَكٍ يسبَحُونَ**﴾[الأنبياء33]. وقد ذكر القرآن أن الكون مليئ بالمدارات أو الأفلاك، فهناك ما يقارب المائتي بليون مجرة في الكون، تتألف كل منها مما يقارب المائتي بليون نجما، ومعظم هذه النجوم لها كواكب، وفي كل كوكب هناك أقمار، وكلها أجسام ثقيلة تتحرك ضمن مدارات محدودة ومحسوبة بدقة. وليست المدارات في الكون مقتصرة على الأجرام السماوية فقط؛ بل إن المجرات تجري أيضا بسرعات عظيمة في مدارات لها، وخلال حركتها لا تتقاطع أو تتصادم مع غيرها[1]" فكل ما في الكون من أجرام سماوية مختلفة لها فلك تسبح فيه.

وهي حقائق علمية توصل إليها البحث العلمي مؤخرا بعد جهود طويلة، وقد أثبتت هذه الحقائق بالمشاهدة والدليل القاطع وبإخضاعها لأدوات المعالجة المخبرية الذي تتحرى الدقة والملاحظة المتأنية التي لا مجال فيها للشك، فتجلت بذلك حقائق كانت غائبة، وفَهِم الناس بصورة أكبر سر هذا الكون الذي يعيشون فيه؛ وذلك بعد عصور الظلام الذي سيطر فيه كما هائلا من النظريات الخاطئة والأفكار المشبوهة والاعتقادات والخرافات على الفكر الإنساني.

[1] يراجع هارون يحي، المعجزات القرآنية، ص117

6- الحقيقة العلمية :

الحقيقة العلمية مركب إضافي ولتعريفها يلزم التعريف بجزأيها:

5-1الحقيقة: في اللغة: مفرد وجمعها حقائق، تقول: الأمر يحِقُّ ويحُقُّ حقًّا وحقوقًا إذا صار حقًّا ثابتا. ويقال: حقَّق الأمر: أثبته وصدَّقه، وحقَّق الظن، وحقَّق القول والقضية والشيء والأمر: أحكمه[1]. والحقُّ: نقيض الباطل[2]. والحقيقة: ما يصير إليه حقُّ الأمر ووجوبه [3].

في الاصطلاح: عرّفها الشريف الجرجاني بقوله: "هو الشيء الثابت قطعا ويقينا، يقال:(حقَّ الشيء)، إذا ثبت، وهو إسم للشيء المستقر في محلِّه"[4] .

وعرفها الراغب الأصفهاني بقوله: "الحقيقة تستعمل تارة في الشيء الذي له ثباث ووجود، كقوله صلى الله عليه وسلم لحارث: **"لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟"** أي: ما الذي ينبِّئ عن كون ما تدَّعيه حقًّا؟ وأما في تعارف الفقهاء والمتكلمين فهي اللفظ المستعمل فيما وضع له في أصل اللغة"[5].

5-2العلمية: صفة للحقيقة، والعلم نقيض الجهل، وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكا جازما[6].

والعلم في الاصطلاح: إدراك الشيء بحقيقته. ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة كعلم الكلام، وعلم النحو، وعلم الأرض وعلم الكونيات ....ج (علوم)، ويطلق العلم حديثا على العلوم الطبيعية التي تحتاج إلى تجربة ومشاهدة واختبار، سواءا أكانت أساسية كالكيمياء والطبيعة والفلك والرياضيات والنبات والحيوان والجيولوجيا، أو تطبيقية كالطب والهندسة والزراعة والبيطرة وما إليها[7].

---

[1] المعجم الوسيط، ص188(مادة حقق)

[2] ابن منظور، المرجع السابق، ج10، ص49، (مادة حقق)

[3] ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث الأثر، تحقيق علي بن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1421هـ، ص221

[4] الجرجاني، المرجع السابق، ص80

[5] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ الراغب، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط4، 2004، ص247، 248 (مادة حق)

[6] يراجع ابن منظور، المرجع السابق، ج12، ص417 (مادة علم)

[7] المعجم الوسيط، ص624 (مادة علم)

ومنه فالحقيقة العلمية في الاصطلاح هي: "المفهوم الذي تجاوز المراحل الفرضية، والدراسات النظرية حتى أصبح ثابتا مجمعا عليه من قبل كافة العلماء المختصين كتمدد المعادن بالحرارة، وانكماشها بالبرودة، وتبخر الماء عند درجة مئوية تحت الضغط الجوي العادي، وتجمده عند درجة الصفر المئوي"[1].

ولكي نبسط الحقيقة العلمية أكثر ونقربها للأذهان لابد أن نفرق بينها وبين النظرية العلمية، وإذا دققنا في التعريف السابق فالحقيقة إنما هي تجاوز للمراحل الفرضية والدراسات النظرية وهذا إشارة إلى كون الحقيقة كانت عبارة عن ظن وتخمين وافتراض سابق ورد على أذهان العلماء والباحثين عن ظواهر شاهدوها، وتجارب قاموا بها. وتحققت بالحجة والدليل بعد التجارب والمشاهدات. ولكي نبين أكثر، إنَّ الافتراضات العلمية التي يخضعها العلماء للبحث والدراسة والتحليل والتفسير تُقَدم إلى القراء كتخمينات علمية حول ظواهر معينة قابلة للتحقيق أو التلاشي، فإذا توصل العلماء في المستقبل (**بعد إجراء مزيد من البحوث**) إلى براهين وأدلة قطعية تُقرِّر هذه النظريات وتؤكد صحتها تحولت من نظرية علمية افتراضية احتمالية، إلى حقيقة علمية قطعية، في مقابل ذلك غياب البرهان والدليل القاطع يقينا يضع النظرية العلمية في دائرة الافتراض، أو ربما زالت وتلاشت مع الزمن[2] .

يفهم مما سبق أن الحقيقة العلمية هي نهاية ما وصل إليه العلم بصورة قاطعة، وتكون غير قابلة للنقاش والاعتراض، إلا أن هذا الوصف للحقيقة بأنها لاتقبل التغير والتبديل ليست قاعدة مسلمة فكم من الحقائق التي قيل إنها حقائق دائمة قد اعتراها التغيير بعد فترة من الزمن، وتبين أنها كانت مجرد ظن أو تخمين.

إن الحقيقة تعتمد على الدقة الفائقة في وصف مايحدث بالفعل، بالإضافة إلى الفطنة والذكاء والأمانة عند تفسير هذه المشاهدات، وتحليل جزئيات الظاهرة من أجل كشف أسرارها وكيفية حدوثها في الطبيعة فالحقيقة العلمية هي ببساطة الظاهرة التي تثبت بالتجربة والدليل والملاحظة.

ومن المعروف أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى وأنه سبحانه خالق الكون ومنشئه، وهو الأعلم بخفاياه وأسراره، فقد حمل القرآن الإشارات العلمية جنبا إلى جنب مع الهداية والتشريع والبيان "وأعلن حقائق تمس قوانين كونية كبرى ينتفع بها الإنسان سواء علِمها أم لم يعلَمها، فالشمس ودوران الأرض، والجاذبية الأرضية، والليل والنهار، وكل ما يتعلق بهذا الكون كل ذلك من قوانين الكون....."[3] وكلها حقائق علمية أثبتها العلم الحديث وقدمها القرآن الكريم جاهزة وقطعية منذ أكثر من ألف وأربع مائة سنة؛ وما الحقائق الغزيرة التي يفيض بها القرآن

[1] عبد الله بن عبد العزيز المصلح، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه و ضوابطه، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط2، 2002، ص28، http://www.eajaz.org/

[2] يراجع صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، الأردن، ط1، 2000، ص39

[3] متولي الشعراوي، المرجع السابق، ج1، ص86

إلاَّ وسيلة هيأها الله للوصول إلى أكبر قدر ممكن من التفاهم بين الإنسان والعالم الذي يعيش فيه بعد الكشف عن سننه ونواميسه الطبيعية.

.

المبحث الثاني: القرآن والبلاغة:

إذا أردنا أن نتحدث عن معجزة القرآن وبلاغته فإننا لابد أن نتناول دقة اللفظ، أو دقة التعبير في القرآن الكريم، وكلام الله سبحانه وتعالى في غاية الدقة، بحيث يعبر عن الشيء تعبيرا كاملا، فلا تجد حرفا زائدا بلا معنى، ولا كلمة مترادفة أو زائدة...إلخ.

وللكلمة في القرآن الكريم قيمة عظيمة، وأهمية كبرى، وذلك لأن الكلمة هي الأصل الذي يدور عليه المعنى، فإذا وضعت الكلمة في موضعها الذي ينبغي أن تكون فيه، فقد أصبت المعنى كله. واختيار المفردات في القرآن الكريم من أسرار اعجازه، ومن عجائبه التي لا تنفد، لذلك تجد كل كلمة في القرآن الكريم لايصلح غيرها في مكانها، ولو أدير لسان العرب على كلمة غيرها لتؤدي معناها في مكانها لم يوجد .

إن من أسرار التعبير القرآني ألفاظه المختارة في منتهى الدقة العلمية، وهذا لكون القرآن الكريم لا يعالج قضية أو علما أو فنا محددا، إنَّه دستور حياة أزلي، يحمل من الأسرار والخفايا الفيض الغزير، كما أنه ليس موجها إلى فئة معينة سواءا أكانت مثقفة أو دون ذلك، إنه يخاطب عقولا مختلفة وأجناسا مختلفة وفئات متعددة، فإذا بحث فيه الفلكي وجد فيه غايته، وإذا تأمل فيه الطبيب والمهندس والفيزيائي والأدبي والكيميائي وحتى الإنسان البسيط وجد فيه ما يصبو إليه، وما يشبع رغبته، ومفتاح ذلك ألفاظه الكريمة، فالقرآن الكريم استخدم نفس الحروف والألفاظ التي يستخدمها البشر في التعبير عن المعاني التي تدور بخواطرهم، لكنه جاء بدقة متناهية في اختيار الألفاظ، سواء في التعبير عن أغراضه العلمية أو التشريعية أو الفنية ،وكل ذلك بلغة بيانية مبهرة، وبالرغم من أن القرآن الكريم قد تناول قضايا متعددة إلا أن أسلوبه العلمي ظل في المنزلة الرفيعة من السمو والبلاغة.

1-التعبير القرآني:

ربما لايختلف اثنان، ممن أوتوا من العربية الصحيحة ومعرفة أساليبها، وطرق تعبيرها، في أن التعبير القرآني "**تعبير فني مقصود**"[1]، أريد به التأثير في متلقيه، ذلك بأن العرب قد عُرِفوا بالفصاحة والبيان؛ حتَّى إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم نفسه قال: «**إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا**»[2]، لذا جاء القرآن معجزة بيانية خالدة، متحديا أرباب الفصاحة والبيان في أن يأتوا بسورة من مثله.

"والقرآن الكريم لم يخرج عن معهود العرب في لغتهم، فمفرداته مفرداتهم، وجمله جملهم، وقواعد صوغه قواعد صوغهم، من حروف العرب تألفت كلماته، ومن كلماتهم تألفت تراكيبه، وعلى قواعدهم جاء تأليفه ومع هذا فقد أعجزهم بأسلوبه الفذ، ومذهبه الكلامي المعجز"[3].

ولا شك أن العرب قد أدركوا إعجاز القرآن إدراكا فطريا غير مسبوق بدراسة وطول نظر في آيات القرآن الكريم، وذلك لما حباهم الله به من فطرة عربية سليمة، وذوق سليم، وفصاحة وبيان، وهذا يعني أن تلاوة آيات قليلة على مسامعهم هي الدليل الذي يقطع بأن هذا الكلام مفارق لجنس كلام العرب، وهذا يعني أيضا أن جملة ماجاء به القرآن من حقائق الإخبار عن الأمم السابقة وأنباء الغيب، ومن أسرار ما لم يعرفه البشر عن الكون إلاَّ بعد قرون متطاولة من نزوله، هو كله حق لاريب فيه، وإنْ ناقض ما يعرفونه[4] .

وإذا تأملت القرآن الكريم في جميع ما يتصرف به من أوجه المعاني، وجدته على حد واحد من حسن النظم وبديع التأليف والرصف، لايتفاوت ولا يتباين، ولا ينحط عن المنزلة العليا في كل غرض من أغراضه يقول الباقلاني في هذا السياق: "**ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة، والتصرف البديع والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة، على هذا الطّور وهذا القدر إنَّما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة، وألفاظ قليلة وإلى شاعرهم قصائد محصورة(.....)القرآن الكريم عجيب في نظمه، وبديع في تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي**

---

[1] فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان ، ط4، 2006، ص10

[2] البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 2002، ص1460

[3] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد زمولي، دار الكتاب العربي، بيروت ط1، ج2، 1995، ص200

[4] محمد كريم الكواز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، مكتب الإعلام والبحوث والنشر بجمعية الدعوة الاسلامية العالمية، بنغازي، ط1، 1426، ص30

يتصرف فيها من ذكر قصص، ومواعظ واحتجاج، وإعذار، وإنذار(.....) ونجد كلام البليغ الكامل والشاعر المفلق، والخطيب المصقع، يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور"[1].

فالتعبير القرآني يظل جاريا على نسق واحد من السمو والعلو في جمال اللفظ، وعمق المعنى ودقة الصياغة، وروعة التعبير ، رغم تنقله بين موضوعات مختلفة من التشريع إلى العلوم والفنون والأخبار والقصص، وتلك حقيقة شاقة، بل ظلت مستحيلة على مر الزمن لدى فحول علماء العربية والبيان؛ وبيان ذلك أن المعنى الذي يراد عرضه كلما كان أكثر عموما، وأغنى أمثلة كان التعبير عنه أيسر وكانت الألفاظ إليه أسرع، وكلما ضاق المعنى وتحدَّد، ودقَّ وتعمَّق كان التعبير عنه أشق، وقَلَّت الألفاظ من حوله، ولذلك كانت أكثر الميادين الفكرية التي يسابق إليها أرباب الفصاحة والبيان الفخر والحماسة والمدح والهجاء، في حين ميادين الفلسفة والعلوم والتشريع أقل حركة واهتماما منهم.

ومهما رأيت بليغا كامل البلاغة والبيان، فإنه من المستحيل أن يتصرف بين مختلف المعاني والموضوعات على مستوى واحد من البيان الرفيع الذي يمتلكه، غير أنك لا تجد هذا التفاوت والخلل في كلام الله تعالى فأنت تقرأ آيات في الوصف وأخرى في الحكم والوعد والوعيد والقصص(...) فلا تجد الصياغة خلال ذلك إلاّ في أوَجٍّ رفيع من السمو والبلاغة، وتنظر فتجد المعاني كلها لاحقة بها سانحة إليها[2]؛ فبالتعبير يعرف الإنسان الراقي وهذا لكون التعبير الواضح الجميل خاصية تكشف عن تفكير الإنسان وأسلوبه، وبه "تتفاوت الدلالات في القوة والضعف والغموض والوضوح، وبه تظهر الميزة بين قول وقول، ومعنى ومعنى"[3].

ولهذا فإن التعبير القرآني لا يستحوذ على قلوب الناس وعقولهم من جهة الإيمان به فحسب لأنه كلام الله لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بل من جهة السمو والرفعة والقوة، لكون للتعبير القرآني مواقف غاية في الروعة سواء من ناحية تَمَلُّكِ المفردة المناسبة للمعنى المبتغى من دون مرادفتها أو دقة التعبير على أغراض غاية في التنوع. ولا خلاف بين أهل العلم أن التعبير القرآني تعبير فريد في سموه وعلوه، وهو تعبير فني مقصود، كل لفظة بل كل حرف وضع وضعا فنيا مقصودا، بحيث لم تراع في هذا الوضع الآية أو الصورة، بل روعي التعبير القرآني كله[4].

---

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص36

[2] يراجع سامي محمد هشام حريز، نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دار الشروق، عمان ، ط1، 2006، ص67

[3] عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، ج1، 1992، ص25

[4] يراجع فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص9، 10

وفي هذا المعنى يقول الخطابي (ت388هـ) في كتابه بيان إعجاز القرآن: **"لقد تعذر على البشر الإتيان بمثل القرآن الكريم لأمور منها: علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية و[بألفاظها] التي هي ظروف المعاني والحوامل لها، ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض، فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها، إلى أن يأتوا بكلام مثله، وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة(....)واعلم أن القرآن الكريم إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، متظمنا أصح المعاني..."**[1].

فقد أشار الخطابي من خلال خطابه إلى الوجوه التي اعتبرها وراء عجز العرب حين تحداهم القرآن، كما أنه قسم الكلام إلى ثلاثة أقسام لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وهذه الأقسام توجد بدرجات متفاوتة في كلام البشر، في حين إذا تأملت القرآن الكريم فلن تجد أعذب من ألفاظه، ولا نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه، في حين المعاني فكل العقول تشهد بالتقدم في أبوابها ونعوتها وصفاتها.

وقد بلغت عناية العرب بالكلمة مبلغا كبيرا، فقد كانوا "يدركون بسجيّتهم سر الكلمة"[2]، فتوجهَ اهتمامهم منذ القديم إلى الألفاظ لأنها "حلل المعاني ومادة الجمل"[3]، وخاصة ألفاظ القرآن الكريم التي تميزت بحسن انتقائها ودقة اختيارها حسب السياق التي وردت به في القرآن الكريم؛ "فالألفاظ لم توضع عبثا ولا من غير حساب، بل هي موضوعة وضعا دقيقا مما يدل على القصد الواضح في التعبير"[4].

واستعمالات القرآن الكريم للألفاظ كثيرة ومتعددة بتعدد الأغراض والمقاصد والمواضيع، فاستعمال تشريعي وآخر قصصي وآخر غيبي...إلخ. ومع مرور الزمن أصبح الاستعمال العلمي للألفاظ في القرآن الكريم محط اهتمام كثير من العلماء والباحثين، فقد شُحِنت العديد من المفردات القرآنية بدلالات علمية ومعلومات حول حقيقة الكون وأنظمته وقوانينه، وبالرغم من تنوع التوظيف القرآني للألفاظ إلاَّ أن تعبيره ظل في قمة الأدب والفن، فالقرآن كله بيان وبلاغة وجملة الحقائق التي أشار إليها اصطبغت بالصبغة البلاغية لديه.

---

[1] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (الرماني والخطابي والجرجاني)، تحقيق محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، ص27

[2] محمد سالم محيسن، روائع البيان في إعجاز القرآن، دار محيسن، القاهرة،ط1، 2002، ص17

[3] محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2005، ص139

[4] فاضل السامرائي، المرجع التعبير القرآني، ص12

ولعل البحث في المعاني الدقيقة لألفاظ القرآن الكريم وسر اختيارها، وما لها من رصانة من حيث مدلولها جعلت الباحثين يهتمون بها، ويعدون خطوة تفسير اللفظة بابا للولوج إلى علوم كثيرة وأسرار عميقة.

2-دقة اختيار المفردة القرآنية:

لقد كان القرآن الكريم دقيقا في اختيار ألفاظه وانتقاء كلماته، فالكلمة هي اللبنة المستخدمة في البناء اللغوي، وذلك البناء الفكري الذي يعد مظهرا من مظاهر وعي الإنسان وسموه على المخلوقات الأخرى، وهي أداته التعبيرية في توصيل المعنى، وتعد المفردة القرآنية هي الأساس الأول في البيان القرآني، لأنها تعد المصدر الأول في ربط المرء بالواقع.

"فالآداء القرآني يُعبِّر عن قضايا ومدلولات ضخمة في حيّز يستحيل على البشر أن يعبروا فيه عن مثل هذه الأغراض وذلك بأوسع مدلول وأدق تعبير، مع التناسق العجيب بين العبارة والمدلول"[1]. يقول الله تعالى في وصف خروج القطر من السحاب:﴿**فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ**﴾[النور-43]، ويقول امرؤ القيس في هذا المعنى: **فألقى بصحراء العبيط بعاعه**.

فتأمل ما بين "**الودق**" و"**البعاع**"، فإنك تلاحظ أن لكل واحدة منهما مدلولا خاصا، فاختصاص الودق بالرقة واللطافة والبعاع بالغلظ والبشاعة، دلالة واضحة على أن الفصاحة راجعة إلى اللفظ لأجل دلالته على معناه[2].

للكلمة القرآنية مزية خاصة لا تجدها في الكلمات التي يتناولها الناس في تعابيرهم، فهي أولا: "تتناول من المعنى سطحه وأعماقه، وسائر صوره وخصائصه، لاتقف عند العموميات التي تقف عند حدودها تعبيراتنا البشرية، وهي ثانيا: تمتاز عن سائر مرادفها اللغوية بتطابق أتم مع المعنى المرادف، فمهما استبدلت بها غيرها، لم يسدَّ مسدّها، ولم يغن غناؤها"[3].

فلغة القرآن عربية فريدة في علوها وعمقها وبساطتها، وألفاظه ثابتة على مر العصور، فلا يمكن أن يلحقها تطور دلالي، أو تتغير معانيها وتكتسب ألفاظها معان أخرى، ولا يمكن فهمها إلاَّ من خلال القرآن نفسه؛ لكون المفردة القرآنية لاتقف عند العموميات التي تقف عندها اللغة البشرية، إنما تحيط بالمعنى من كل جوانبه، كما أنها تتطابق معه تطابقا تاما، بحيث لن تسد مسدها كلمة؛ إذ أن الكلمات المترادفة ظاهرا مختلفة في تفاصيل دقيقة، وكلمات القرآن لن تغني غناءها أي كلمة عربية لكونها في قمة البلاغة والدقة يتناسب فيها الواقع والتعبير.

فالقرآن الكريم يتأنق في اختيار الألفاظ، ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها، يستخدم كلا حيث يؤدي معناه في دقة فائقة، تكاد تؤمن معها بأن هذا المكان إنما خلقت له هذه اللفظة لا سواها، ولذلك لا تجد

---

[1] عبد الفتاح لاشين، صفاء الكلمة(من أسرار التعبير القرآني)، دار المريخ للنشر، الرياض، 1983، ص6

[2] يراجع المرجع نفسه، ص6

[3] محمد محمد داوود، كمال اللغة العربية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم، دار المنار، القاهرة، ص205

في القرآن ترادفا بين الكلمات، بل كل كلمة تحمل إليك معنا جديدا ودقيقا يثير قضية أو حقيقة لا تثيرها غيرها من المرادفات اللغوية لها، وأن كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وفَّت به أختها، بل كل كلمة تحمل إليك معنى جديدا[1] .

ولما بين الكلمات من فروق، يبعث بعضها في النفس من ايحاءات خاصة، دعا القرآن إلى ألاَّ يستخدم لفظ مكان آخر، فهو لايرى التهاون في استعمال اللفظ، ولكنه يرى التدقيق فيه ليدل على الحقيقة من غير لبس ولا تمويه[2]؛ فهناك العديد من الألفاظ التي يُعتقد أنَّ المعنى فيها واحد، في حين توجد فروق بينها تجعل لكل لفظة دلالة خاصة بها، وتَبيُّن الفوارق في هذه الألفاظ يؤدي إلى المعرفة بوجوه الكلام وحقائق المعاني.

ولا شك أن كل كلمة وضعت "وضعا فنيا مقصودا في مكانها المناسب"[3]؛ إذ لا يمكن أن يستبدل لفظ بلفظ آخر، ولو حصل ذلك لاختل المعنى وتشوه البناء، وإذا كانت اللغة "عاجزة عن التعبير عن جميع المعاني والمشاعر، فالقرآن الكريم يُسَخِّر كلماته لما وراء الحدود التي تقف عندها طاقات اللغة، مستعملا في تعبيراته اللغة ذاتها ليس إلاَّ"[4].

ويظهر هذا المعنى جليا في التعبير عن مظاهر الطبيعة وعناصر الكون، فقد سخر القرآن اللغة العربية ذاتها في وصف خلقه؛ إذ إنه يخرج ألفاظه في أبهى حلة وكأنك تتعرف عليها لأول مرة، فهو يقرب المعاني إلى العقل والقلب معا كما أنه يطوع ألفاظه لكل ما يعجز الإنسان عن بلوغه وتَصَوُّره من دقائق المعاني والأخيلة، فالقرآن الكريم لا يُعجِزُه أن تكون الكلمة دائما في مستوى المعنى المراد على أدق وجه، إنما يبلغ مستوى التَّفَرُّدِ والإعجاز في إظهار كل الأغراض وحتى مخاطبة الوجدان وذلك بدقة وروعة.

فكلمة "**أغطش**" مثلا في قوله تعالى:﴿**وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا**﴾[النازعات29]، متقاربة من حيث الدلالة اللغوية مع كلمة **أظلم**؛ لكن "**أغطش**" تمتاز بدلالة أخرى من وراء حدود اللغة، فالكلمة بهذه الدلالة تعبر عن ظلام انتشر فيه الصمت رغم الركود، وتجلَّت في أنحائه مظاهر الوحشة. ولست بحاجة -لفهم هذه الصورة من الكلمة إلى وساطة لغة، أو مراجعة قاموس، إنما هو شعور تحس به من طبيعة الكلمة ووقع حروفها[5].

---

[1] أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2005، ص51

[2] يراجع المرجع نفسه، ص6

[3] فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط2، 2002، ص4

[4] محمد محمد داود، المرجع السابق، ص205

[5] يراجع محمد محمد داود، المرجع السابق، ص205

واقرأ قوله تعالى:﴿**وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ**﴾[التكوير18]، فأنت لو أردت تغيير كلمة "**الصبح بالفجر**" لتغيرت الصورة تماما، بالرغم من أن كلمة **الفجر** قد تدل على بعض معاني كلمة **الصبح**، والعلماء يعدونهما من المترادفتين؛ لكن عند التحقيق تجد أن كلمة "**الصبح**" تدل على النور الذي يتخلل الظلمة، ويسري فيها شيئا فشيئا، وينبعث في هذا الوجود، فيملأه نورا، وتنبعث من بعده الحياة، ويخرج الناس إلى معايشهم بعد سبات الليل وسكونه، في حين كلمة "**الفجر**" تدل على معنى شَقِّ الظلمة، وعلى مجرد ابتداء نهاية الظلمة، ولذلك يقترن بها ذكر الليالي، كما قال تعالى:﴿**وَالفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالوَتْرِ**﴾[الفجر1،2،3] ، فقد كان ذكر الليالي مع الفجر متناسبا، لأن الليل متآخ مع الفجر في معناه، وقَصد به مجرد نهاية الليل، ولكن كلمة الصبح لوحظ فيها الإشارة إلى ابتداء النهار، فإذا كان وقت الفجر والصبح واحدا فإن الفجر فيه بيان إنهاء الليل والصبح ابتداء النهار، ولذلك يستحسن أن يقال "**طلع الفجر**" ولا يقال "**طلع الصبح**"، بل يقال "**أشرق الصبح** "[1].

واقرأ قوله تعالى في معرض إبرازه قدرته لخلقة وعظم مخلوقاته:﴿**خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَيْلِ**﴾[الزمر5].

فالمراد من التكوير في الآية: أن يأخذ الليل والنهار صورة خاصة فيحيطان بالكرة الأرضية إحاطة اللفاف، كما تقول: كورت هذا القماش، أي جعلته يأخذ شكل الكرة الملفوف حولها. ولو جاء التعبير في الآية[**يبسط الليل والنهار**] أو[**يغيِّر الليل والنهار**] لاقترب من المعنى المراد؛ لكن القرآن اختار لفظ "**يكور**" دون "**يبسط أو يغير**"، لأن لفظه **يكور** هي التي صورت المعنى المراد بدقة؛ إذ المقصود أن الليل والنهار يحيطان بالكرة الأرضية ومعلوم أن الأرض على شكل كرة، فالليل والنهار يُكوَّران حول سطح الكرة الأرضية في كل وقت، وذلك لأن نصف الكرة الأرضية المواجهة للشمس يكون نهارا، والنصف الآخر يكون ليلا.

فالآية تشير إلى حقيقة وجود الليل والنهار بشكل دائم وفي وقت واحد على سطح الكرة الأرضية، كما أنها تعلن حقيقة كروية الأرض، وهذا ما نبَّأ به القرآن و أثبته العلم الحديث، والتعبير الذي وضَّح المعنى وكشف الحقائق هو لفظة [**يكور**][2].

وقد استرعى دقة اختيار ألفاظ القرآن وروعتها أنظار العلماء. يقول ابن تيمية في قوة ألفاظه القرآن ودقة دلالتها: "**وليس في القرآن لفظ إلا مقرون بما يبين به المراد**"[3]، ويقول ابن عطية - فيما يحكي السيوطي

[1] يراجع محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن (نزوله كتابته جمعه إعجازه جدله علومه تفسيره حكم الغناء به)، دار الفكر العربي، 1970، ص118

[2] يراجع عبد الفتاح لاشين، المرجع السابق، ص85، 86

[3] محمد بن عبد العزيز العواجي، إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيميه مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للباقلاني، مكتبة دار المنهاج ، الرياض، ط1، 1427هـ، ص253

عنه-وهو يتحدث عن القرآن: **"لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم توجد"**[1].

وذلك بخلاف كلام الناس مهما سما وعلا فلو نظرنا بدقة في كتب العلماء ودواوين الشعراء والمترسلين لوجدنا فيها اختلافات وتناقضات كثيرة؛ فالعمل البشري دائما يعتريه النقص والقصور، فما من عمل يقدِّمه اليوم إلا قال كما يقول العماد الأصفهاني: "وإنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه، إلاَّ قال في غده لو غُيِّر هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر على استيلاء النقص على جملة البشر"[2].

وأما "مواقع الكلمات القرآنية فإن دراستها تؤكد أنه ليس فيه كلمة تؤدي معناها غيرها"[3]، وهذا ما أكده ابن عطية في كلامه، فكل كلمة لها اختيار خاص لمعنى خاص بها.

وأعجب العجيب أن القرآن الكريم لا يكتفي بانتقاء ألفاظه في نمادجه، بل هو يشرع ذلك صراحة، فقد نبه القرآن الأعراب أن يلتزموا الدقة في التعبير، ويرشدهم إلى البديل الصحيح حتى لا تضل المعاني وتتوه الأغراض والمقاصد في الأفهام، وذلك في موضعين:

1/ قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولوُا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابُ أَلِيمٌ**﴾[البقرة104].

2/ قوله تعالى: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ ءامَنَّا قُل لَّمْ تُؤمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمُ**﴾[الحجرات14].

فالقرآن الكريم أولى عناية فائقة باللفظة المستعملة فيه، فكانت الكلمة في جمله بمنزلة الفريدة من حَبِّ العقد، فلا يقع مثلها لمخلوق، ولايستطيع أحد الإتيان بمثلها، ولا يكاد ذو ذوق سليم، وذهن مستقيم أن يفْطُن إلى شَبْهِهَا، وإذا سقطت هذه الكلمة من الكلام عزَّ على الفصحاء سقوطها.

[1] محمد عبد العظيم الزرقاني، المرجع السابق، ص255

[2] موفق الدين عبدالله بن قدامة، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، المكتبة المكية، مكة، المكتبة التَّدمرية، الرياض، مؤسسة الرَّيان، بيروت، ط1، ج1، 1998، ص42

[3] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1997، ص51

3- خصوصية المفردة القرآنية:

إنَّ لكل عصر من العصور سماته وخصائصه الثقافية، والسمة البارزة في عصرنا هو تطور العلم في كل المجالات والميادين، وكثرة الدراسات العلمية المتعلقة بآيات القرآن الكريم والسنة المطهرة في مجالات الحياة المتعددة. فمعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة لكونه نورا وهدى ورحمة، يحوي من الأسرار والعجائب القرآنية ما يعلمها إلا الله، فكلما إزدادت البحوث كلما ازدادت البراهين الدالة على معجزة القرآن، وألفاظ القرآن الكريم بلغت الغاية في الحسن والبلاغة "فإذا تأملت الكلمات في القرآن الكريم رأيتها تمتاز بميزات ثلاثة رئيسية: جمال وقعها في السمع، اتساقها الكامل مع المعنى واتساع دلالتها لما تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات[1]، فالله سبحانه وتعالى اصطفى من مفردات اللغة العربية أيسرها على اللسان وأقربها للأفهام، تستلذ بها الأسماع، وتستطيبها الأنفس وتهوي إليها الأفئدة.

وقد كان من تأثير لغة القرآن أن أصبحت القبائل قديما تفاخر بما في ألفاظها من شَبَهٍ بألفاظ القرآن قال أهل مكة لمحمد ابن مناذر الشاعر: "**ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة: إنما الفصاحة لنا أهل مكة، فقال ابن المناذر: أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن، وأكثرها له موافقة، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم: أنتم تسمون القدر [برمة] وتجمعون البرمة على [برام]، ونحن نقول:[قدر] ونجمعها على [قدور]، وقال الله عز وجل:﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾**[سبأ13].

وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت [عُلِّيَةً]، وتجمعون هذا الاسم على [عَلَالي]، ونحن نسميه [غرفة] ونجمعها على [غرفات] و[غرف].وقال الله تعالى:﴿غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾[الزمر20]،**وقال:﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾**[سبأ37][2].

فالقرآن الكريم ينتقي ألفاظه بإحكام شديد لما بين الكلمات من فروق لغوية دقيقة، فلم يزد مرور الزمن إلا حفظا لها " لم تهن لفظة ولم تتخل عن نصيبها في مكانها الحسن"[3].

وبتطور الاكتشافات التي جاءت نتيجة للإشارات الواردة في القرآن، وببزوغ عصر العلم والمعرفة أثبت التفسير العلمي الحديث أن ما اعتبره القدماء من ألفاظ القرآن الكريم مجازا إنما هي حقائق ذكرها القرآن الكريم وأثبتها العلم التجريبي؛ وهذا لمرونة دلالة المفردة القرآنية الذي يتسع ليشمل مفاهيم وقيم كل عصر، وبديهي أن يتباين

[1] سامي محمد هشام حريز، المرجع السابق، ص71

[2] عبد الفتاح لاشين، المرجع السابق، ص7

[3] أحمد أحمد بدوي، المرجع السابق، ص64

موقف العلماء من تلك الإشارات فكل "يتلقف هذه المفردة حسب فهمه، وقدراته العقلية ونوع ثقافته، وذلك من غير إقحام أو تقوُّل، لأن مرونة الكلمة ليست عشوائية"[1] .

فالكلمة القرآنية تختزن من الدلالات والمعاني بقدر أفهام الناس في كل زمن، وإذا كان القدماء قد غفلوا عن هذه النقطة المهمة في ألفاظ القرآن فهذا ليس معناه ضعفهم وجهلهم في التفكير، إنما تفكيرهم لم يرتق لمثل هذه الحقائق التي تحتاج إلى وسائل تقنية عالية التطور والدقة، فالله سبحانه وتعالى أعطى لكل جيل على قدر طاقته وقدراته، ومعاني كلماته تفتح باب التفكير أمام القارئ في كل زمان، وهذا من إعجاز القرآن. "فالمفردات تختزن معاني كثيرة يتجلى ذلك في عدة مجالات، وقيمة الاختزان تتجلى في عدم انغلاق المعنى على نفسه إنما تظل مفتوحة أمام القارئ، وكأن المفردة تملك أكثر من معنى، وذلك عندما يفهمها كل حسب ثقافته"[2].

يقول تعالى:﴿**تَبَارَكَ الذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا**﴾[الفرقان61].

فالكلمتان **سراجا ومنيرا** تحملان في طياتهما كل المعاني المتغيرة مع تغير الزمن وتقدم العلوم، يقول البوطي في تفسير الآية: "**فالعامي من العرب يفهم أن كُلًّا من الشمس والقمر يبعثان الضياء إلى الأرض، وإنما غاير في التعبير بالنسبة لكل منهما تنويعا للفظ، وهو معنى صحيح تدل عليه الآية، والمتأمل من علماء العربية يدرك من وراء ذلك أن الآية تدل على أن الشمس تجمع إلى النور الحرارة فلذلك سماها سراجا، والقمر يبعث بضياء لا حرارة فيه، وهو أيضا معنى صحيحا تدل عليه الآية دلالة لغوية واضحة، أما الباحث المتخصص في شؤون الفلك فيفهم من الآية إثبات أن القمر جرم مظلم، وإنما يضيء بما ينعكس عليه من ضياء الشمس التي شبهها بالسراج بالنسبة له، وهو أيضا معنى صحيح تدل عليه بلغتها وصياغتها** ....."[3].

لقد اختزنت هذه الكلمتان دلالات متعددة وبأسلوب عجيب لا يتضارب أو يتصادم مع عقول البشر وأفهامهم، إنما كل يدرك منها من المعاني على حسب استعداده وطاقاته الفكرية وتوجهه الثقافي، وهذا لكون القرآن إنما نزل خطابا للناس جميعهم على تفاوت ثقافاتهم واختلاف عصورهم .

وبما أننا في عصر العلم والانفتاح على السموات فقد استجابت كلمات القرآن لخصوصية هذا العصر واتسعت دلالتها لتشمل أبعد تصور وصل إليه العلم في العصر الحديث؛ أن نهاية العالم ستكون بداية لخلق جديد، يقول تعالى: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**﴾[الأنبياء 104 .

[1] أحمد ياسوف، جمالية المفردة القرآنية، دار المكتبي، سورية، ط2، 1999، ص280

[2] المرجع نفسه، ص271

[3] رمضان البوطي، من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999، ص115.

المبحث الثالث: القرآن والحقائق العلمية:

لقد أرسل الله محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة على اختلاف عصورهم وثقافتهم ومداركهم وأيَّده ببيِّنات متنوعة تتناسب مع جميع من أرسل إليهم إلى يوم القيامة، فمعجزة الفصاحة في كتاب الله أخضعت فصحاء العرب، ومعجزة البشارات أقامت الدليل لأهل الكتاب على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزة الخوارق أرغمت الكافرين المعاندين وأوضحت لهم حجة النبي صلى الله عليه وسلم الساطعة، ومعجزة الأخبار بالغيب تجلت ولاتزال تتحقق على مر القرون والعصور.

وقد تجلت في عصرنا معجزة وعد بها القرآن الكريم، وشاهد حقائقها أهل الاختصاصات الكونية والعلمية في عصرنا كعلم الفلك، وعلوم البحر، وعلوم الأرض، والأرصاد، والنبات، والحيوان، وعلوم الطب المختلفة وغيرها من العلوم الكونية، ليكون ذلك دليلا لكل غافل في عصرنا أن هذا القرآن نزل من عند الله، وأن العلامة الإلهية الشاهدة بأنه كلام ربانيٌّ هي"**العلم**" الذي تحمله الآيات وتجليه الاكتشافات العلمية الدقيقة، وذلك بعد رحلة البحث والمشاهدة والدراسة باستخدام أدق الآلات التي لم تصنع إلا في عصور الثورة الصناعية الحاضرة[1].

والقرآن الكريم أشار إلى هذا النوع من الإعجاز في أكثر من موضع منه، حيث جاء الوعد الإلهي بإظهار آياته في الآفاق حتى يتبيَّن للكافرين أنه الحق، وأنَّ الله شاهد على كل صغيرة وكبيرة في خلقه. يقول تعالى:﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّن لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت53]؛ إذ سبق العقل الإنساني ومخترعاته بأربعة عشرة قرنا من الزمن، فقد جعل الله فيه من المعاني المختلفة والفنون المتعددة التي تهيِّج النظر، وتبعث النفس على التأمل والاستقصاء ليكشف الزمان بعدها عن أسرار هذه المعاني، وتكون دليلا على أنه كتاب الدهر كله.

[1] يراجع عبدالله بن عبد العزيز المصلح وآخرون، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار جياد، جدة،ط1، 2008، ص19

القرآن والعلم:

نزل القرآن الكريم في البادية على نبي أمي وقوم أميين لا عهد لهم بالقراءة ولا بالكتابة ولا بالعلم ولا بالمعرفة، لم يكن إلا ألسنتهم وقلوبهم، وكانت فنون القول التي يذهبون فيها مذاهبهم ويتواردون عليها، لا تتجاوز ضروبا من الصفات وأنواعا من الحكم، وطائفة من الأخبار والأنساب، أما العلوم فلم يكن للعرب نصيب فيها فغاية ما كانوا يفعلونه ويعلمونه لا يعدوا أمورا بسيطة ممزوجة بخرافات يتناقلونها وأساطير يرددونها[1].

لقد دعا القرآن الكريم في أوَّل آية نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يتعبد في غار حراء إلى طلب العلم، يقول تعالى:﴿**اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اِقرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ**﴾[العلق1،5]، وأقسم الله بالقلم، وهو أول أداة لتحصيل العلم فقال:﴿**نُّ وَ القَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾[القلم1]، كما أشاد الله تعالى بمكانة العلماء، وخصهم بمنزلة رفيعة حتى جعلهم من الشهداء على وحدانيته؛ لأنهم كلما اكتشفوا سرا من أسراره زادهم قربا منه وخشية له يقول تعالى:﴿**إِنَّمَا يِخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ**﴾[فاطر28]، وقد خصهم الله بالدرجات العلى في الجنة، يقول عزمن قائل:﴿**يَرْفَعِ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[المجادلة11]، وفرَّق سبحانه وتعالى في التسوية بين العالم والجاهل، وذمَّ أولئك الذين لا يعلمون، حيث يقول: ﴿**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الذِينَ لاَ يَعلَمُونَ**﴾[الروم59]،﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذِينَ يَعْلَمُونِ وَالذِين لا يَعْلَمُونُ**﴾[الزمر9][2]، كما حثَّ سبحانه وتعالى على طلب الاستزادة من العلم في قوله تعالى:﴿**وَقُلْ رَبِّي زِدْنِي عِلْمِا**﴾[طه114] .

من هنا يتضح من خلال الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد دعا إلى طلب العلم في شتى المجالات وأولى العلماء مكانة رفيعة وقدرا ليس لسائر البشر، ويمدح الله سبحانه عباده الذين يقودهم تدبرهم وعلمهم إلى إدراك الحقيقة وبالتالي مخافته سبحانه، فالعلم النافع الصادق هو الذي ينتفع به الناس، كما أنه يُسْبِغُ على صاحبه الحكمة، فيصبح العلم طبعا ملازما لسلوكه الأخلاقي من دون تكلف، ونورا يضيء له سبيل الرشد والخير، يقول سبحانه وتعالى:﴿**وَمَنْ يؤتِ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرِا كَثِيرًا**﴾[البقرة269] .

[1] يراجع مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، لبنان، ط9، 1973، ص84

[2] يراجع يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1996، ص75، 76، 77

والإسلام يؤيِّد العلم ويحرص عليه ويُكْبِرُ منه، فمن يقرأ الحديث الصحيح للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**)[1].وقوله:(**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع**)[2]، والذي يعرف ما صنعه الرسول صلوات الله عليه بعد معركة بدر من جعله فداء بعض فقراء الأسرى تعليم عشر من أولاد المسلمين الكتابة، يعرف من غير شك أن الإسلام هو دين العلم والتعلم، وإذا تأملنا في الآيات السابقة والآيات الكثيرة التي جعل الله تعالى العلم فيها حُكما بين النبي وبين مجادليه، من مثل قوله تعالى على لسان نبيه:﴿**إِيتُونِي بِكِتَابٍ مِن قَبْلِ هَذَا أَوِ آثَارَه مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[الأحقاف4]؛ إنَّ تدبر هذه الآيات وأمثالها بعد تلك الأحاديث، يدرك حقيقة أن العلم لم يُكْبَر في دين من الأديان كما أُكبر في الإسلام، وإنَّ دينا لم يُلزِم أهله بالعلم والتعلم، كما ألزم الإسلام المسلمين[3] .

حيث كان العلم قديما لا يصلح أن يكون إلاَّ نظرا وجدلا بين طائفة تتنافس فيه لا لشيء إلا لأنه عملها وبه وزن أقدارها، فبزوغ فجر الإسلام غيَّر هذه النظرة الجاهلية للعلم، وحثَّ على طلب العلم للنظر والاعتبار والاستنتاج[4]، وجعل شعار دعوته مثل قوله:﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ**﴾[يوسف108] .

ولا أحد ينكر أن "الإيمان عن علم وبصيرة ويقين هو أرقى وأشرف درجات الإيمان؛ لأنه بذلك يكون قد حقق ما أريد منه وما أنيط به"[5]؛ فأعلى درجة العلم هي درجة اليقين، فمن يحصل على اليقين فقد حصل على المعرفة كلها، والإيمان عن علم ويقين هو أشرف ما يبلغه الإنسان في حياته، فقد تحقق اليقين لديه مما شاهده من حقائق وما اكتشفه في أبحاثه العلمية، وبالتالي ترسَّخ في قلبه حقيقة وجوده وحقيقة مآله، فلا يجد صعوبة في السير على الطريق الصحيح، ولن تمنعه الملذات والأهواء في ذلك. ومن هنا علينا أن ندرك أن درجة اليقين أعلى من درجة الإيمان، وإذا تحقق هذا اليقين بالعلم والبحث، يتأكد بعين اليقين أنه كتاب أنزله الذي يحيط بكل شيء علما.

إن القرآن الكريم أعطى الحرية العلمية للناس جميعا، ودعا إلى علوم الدين والدنيا، فكل علم يدفع الجهل ويورث المعرفة هو من العلم المطلوب شرعا، فالعلوم من مثل الفيزياء، والكيمياء، والطبيعة، والجغرافيا، والنبات والاجتماع ، والنفس علوم دنيوية حث الله عباده المسلمين بطلبها ليكونوا أبصر بعظمة الله وعظمة خلقه،فإذا

---

[1] الحافظ أبو بكر محمد بن سليمان الباغندي، أمالي الباغندي، تحقيق أشرف صلاح علي، مؤسسة قرطبة، مدينة الأندلس، ط1، 1997، رقم الحديث 17، ص33

[2] أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق حمزة أحمد الزين، دار الحديث، القاهرة، ط1، ج14، 1990، رقم الحديث18018، ص81

[3] يراجع محمد أحمد الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، تحقيق عبد السلام الكرواني، مطبعة السعادة، ط1، 1973، ص30

[4] يراجع مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص81

[5] السيد الجميلي، الإعجاز العلمي في القرآن، دار مكتبة الهلال، دار الوسام، لبنان، ط2، 1992، ص9

استقريت الآيات الكونية لترى هل ورد في بعض آياتها مادة (**علم**) ستجد عددا لا حصر له من الآيات التي وردت فيها هذه المادة؛ إن لم يكن في صيغة المصدر، ففي صيغة مشتقاته[1]، مثل قوله في سورة الأنعام الآية 97:﴿**وَهُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البِرِّ وَالبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾، وقوله في سورة الروم الآية 22:﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ**﴾.

"والقرآن الكريم حافل بالإشارات العلمية والكونية، وكما دعا إلى التأمّل في كل ما يحيط بنا يدعو الله سبحانه المسلمين إلى الهجرة في كافة أنحاء الأرض للدرس والبحث"[2]، يقول جلَّ من قائل:﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ**﴾[العنكبوت20].

فالله سبحانه وتعالى يدعونا إلى السير في الأرض حتى ننظر هذا التنوع في كل مخلوقاته والانبهار بعظمته وقدرته؛ فلا يمكن للإنسان أن يدرك هذا التنوع في الحيوانات والحشرات والنباتات من دون السير في الأرض كما أن القرآن يدعونا إلى التدبر في كيفية بدء الخلق وذلك بإعمال الفكر والعقل .

"لقد تعرض القرآن الكريم في آيات كثيرة منه نحو سبعمائة وخمسين آية إلى مسائل هي من صميم العلم وذكر جانبا من الحقائق العلمية كقضايا علمية، ودخل في تفاصيل بعض الحقائق الأخرى، وبذلك نبَّه إلى أهمية البحث وإعمال النظر والفكر"[3]، وفي الحقيقة إن القرآن الكريم يختلف عن الكتب السماوية بكونه مليء بالإشارات الكونية، وهذا من متطلبات العلماء في أيامنا هذه، وكثير من الناس صار لديهم اهتمام بمعرفة كيفية عمل هذا الكون، وكيفية نشأته، وهي تساؤلات تحتاج إلى بحث واكتشاف .

كما حث القرآن على تعلم مختلف العلوم، مثل قوله:﴿**أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ**﴾[فاطر27،28] .

ففي آيات فاطر مثلا لا يعرف سر نزول الماء من السماء إلا بعلم الطبيعة، ولا تركيبه وخواصه إلا بعلم الكيمياء، ولا يعرف ما الجبال ولا طرائقها البيض والحمر والسود إلا بعلم طبقات الأرض، ولا يعرف اختلاف أجناس البشر والدواب والأنعام إلا بعلم الأنثربولوجيا .

---

[1] يراجع محمد أحمد الغمراوي، المرجع السابق، ص32

[2] عبد الرزاق نوفل، الإسلام والعلم الحديث، دار المعارف، مصر، ط1، 1985، ص69

[3] عبد العليم عبد الرحمن خضر، الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، الدار السعودية، جدة، ط1، 1986، ص19

وفي الأخير يمكن أن نقول أن دعوة القرآن للعلم ليست مصادفة أو تكلّفا طبيعيا، إنما هو طريق طبيعي لرؤية آثار الخالق، وكشف الواقع ومعرفة حقيقة الحياة الدنيا، وقد أمتدح الله في كتابه أولئك الذين يقودهم تدبرهم إلى إدراك حكمة الأشياء وأسرارها؛ حيث يعد كل جزء من أجزاء الطبيعة في الأساس مفتاحا لباب من أبواب الحقيقة، وبما أن الطبيعة يمكن أن تنقسم إلى عدد من الأبواب لاحصر لها، فإن مفاتيح كل باب يكاد هو أيضا أن يكون لانهائيا، وفي بعض الأحيان يكفي المرء أن يفتح بابا كي يقوده إلى الحقيقة، فالتأمل على سبيل المثال في نبتة واحدة أو حيوان أو نجمة يمكن أن يساعد الباحث على فهم الكون بأكمله.

2-القرآن دعوة إلى التفكير في آيات الله الكونية:

إن الله عز وجل خلق كل شيء وفق نظام محدد وتدبير حكيم، والإنسان يبقى عاجزا أمام قدرة الله وعظمته فالإنسان لكي يعيش ويستمر في الحياة محتاج إلى نعم الله وفضائله؛ وضروري أن يدرك أن الله هو الذي منحه هذه النعم وهذه الفضائل، والإنسان الذي يخالط شغاف قلبه هذا النوع من الإيمان والخضوع والخشية لما رآه من عظمة الله في خلقه وملكوته يصبح ينظر إلى كل صوت يسمعه، وإلى كل منظر يراه، وإلى كل حادثة تمر به، بل ينظر إلى جميع أطوار حياته بعين "**الخير**" .

لقد أعطانا الله جل وعلا الفرصة للتفكر واستخلاص العبر ورؤية الحقائق في هذه الحياة الدنيا لنفوز فوزا عظيما في الآخرة، فأنزل الكتب السماوية، وأرسل الرسل داعيا الناس عبرهم للتفكر في أنفسهم، وفي خلق الكون من حولهم، ومعظم الناس يظنون أن التفكر العميق عملية شاقة تقضي من الإنسان اعتزال مجتمعه وقطع علاقاته طلبا للهدوء والتأمل، إنهم يصنعون من التفكر قضية صعبة تجعلهم يخلصون إلى القول بأنها سمة خاصة بالفلاسفة فقط، مع أن القضية أبسط من ذلك[1]؛ فالله سبحانه وتعالى يدعو جميع عباده ليتفكروا ويتدبروا في آيات القرآن الذي أنزله لهذا الغرض:﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ**﴾[ص-29]. ويمتدح الله تعالى عباده الذين يقودهم تدبرهم وتفكرهم إلى إدراك الحقيقة وبالتالي مخافته سبحانه.

دعا القرآن الكريم إلى التفكر دعوة قوية ؛ أي إلى إعمال الفكر لا إلى تعطيله وتجميده، وقد دلت أدلة كثيرة على وجوب التفكر على المؤمنين، سواء أكان هذا التفكر في الآيات، أو في المخلوقات، أو في أنفسهم، أو في عذاب الله وعقابه ، أو في رحمته وجنته، وأثنى الله تعالى في كتابه العزيز على عباده المتفكرين المتدبرين لخلقه[2]، يقول تعالى:﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وِاخْتِلَافِ اللَيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ الذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[آل عمران190،191]

"حيث دعا القرآن إلى التفكر بأساليب شتى، وفي كل المجالات فيما عدا التفكر في الله تعالى؛ إذ التفكر في ذاته تبديد لطاقة العقل فيما لايمكن إدراكه، فحسبه أن يفكِّر في مخلوقاته في السموات والأرض وفي نفسه"[3] .

---

[1] يراجع هارون يحي، فن التأمل،ص3، 4، http://ar.harunyahya.com/

[2] يراجع محمد صالح المنجد، التفكر، مجموعة زاد للنشر، جدة، ط1، 2009، ص8، 9

[3] يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص31، 32

يقول سبحانه:﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى**﴾[الروم 8] .

فتفكر هؤلاء من أولى الألباب في ملكوت السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، وما فيهما من روعة ونظام وإحكام واتزان دقيق، يهديهم إلى أن الله تعالى ما خلق كل هذا إلا لحكمة أرادها؛ فهذا التصميم الدقيق لهذا الكون وهذا التناغم المنتظم بين جميع أجزائه، إنما هو تحقيق لهذف معين أراده الله تعالى من عباده العلماء .

"والتفكر المحمود هو الذي يوصل العبد المؤمن إلى ثمراته وفوائده، قال ابن القيم – رحمه الله-:"قاعدة جليلة أصل الخير والشر من قبل التفكر"[1]؛ فمن يتأمل العالم من حوله من هذا المنظور يبدأ في إدراك أن هناك شيء غير عادي في كل شيء يدور حوله في هذه البيئة، ويرى في النهاية أن كل شيء قد خلق وخطط له بطريقة فائقة ومتقنة لاعيب فيها من قِبلِ خالق ذي معرفة وحكمة وقوة مطلقة، وسيكون من تلك اللحظة قادرا على رؤية قدرة رب العالمين من خلال جميع المخلوقات التي أوجدها ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[الزمر67] .

فبالعقل يرى الإنسان سر المعجزات التي وهبه الله إياها، ولذلك يجب النظر إلى الموجودات بنظرة العقل والحكمة، لأن هذه النظرة تجعله يفهم جميع القوانين التي تجعل الزهرة زهرة، ويرى الإبداع في لونها وشكلها ورائحتها، كما أن التفكر في خلق السموات والأرض وماعليها من أنهار وجبال ومعادن ونجوم وكواكب يكشف على أن الله خلق الكون بعلم عظيم وميزان دقيق[2]، وغير العاقل محروم من نعمة التفكر غافل عن هذه الآيات المشهودة عيانا، فكل هذا الإبداع يراه الإنسان يوميا؛ "لكن الله تعالى خص العاقلين بنعمة التفكر في هذه الآيات كدلالة على عظيم صنعه وقدرته الفائقة"[3].

كما حث الله عباده على النظر والتدبر والدراسة لمعرفة الظواهر الكونية، وذلك لندرك ما في آياته من إعجاز وما في مخلوقاته من إبداع، يقول جلَّ وتعالى:﴿**قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[يونس101] .

وإن الإنسان ليأخذه العجب من كثرة مالقيت هذه الناحية العلمية من التوكيد في القرآن، ولا توجد سورة في القرآن إلا فيها إشارة أو تصريح أو عرض كامل للنظر في الكون والتأمل في نظامه[4]. وقد وجد المفكرون الإسلاميون العديد من الآيات القرآنية التي تحوي مضامين علمية أثبتها العلم العديد في مختلف مجالاتها العلم

[1] محمد صالح المنجد، المرجع السابق، ص17، 18

[2] يراجع أبو حامد الغزالي، التفكر في خلق الله، تحقيق ماهر المنجد، دار الفكر، سورية، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1، 1995، ص105

[3] حسن الباش ، الإنسان في ميزان العقل، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس، ص69

[4] يراجع عبد العليم عبد الرحمن خضر، المرجع السابق، ص15و21

وألوانه، فقُدِّمَت لمختلف الفئات والجنسيات في مختلف بقاع الأرض من أجل تقريب القرآن والإسلام للأذهان، وكشف الصور الحقيقية التي شوهها الغربيون عنه.

3-حقائق علمية كشف عنها العلم الحديث:

إن القرآن الكريم الذي نزل منذ أربعة عشر قرنا في عهد الجهل المطبق، اشتمل على حقائق علمية كثيرة ناصعة أوردها الله تعالى ليدل على وجوده ووحدانيته وعظمته، وعلى الرغم من تقدم العلم الحديث في زماننا إلاَّ أنه لا توجد حقيقة علمية تنافي ماورد في القرآن الكريم من إشارات مسبقة لها؛ "حيث اعتبر المفكرون الإسلاميون الحقائق العلمية الثابتة من أوضح الأدلة المعاصرة على المصدر الرباني للقرآن، وإثبات أنه كلام الله تعالى، لأن هذه الحقائق فوق المستوى العلمي للرسول صلى الله عليه وسلم، وفوق مستوى العرب العلمي في عصر التنزيل، بل وفوق مستوى العالم العلمي"[1]. فالقرآن الكريم يحتوي من حقائق الكون وسننه ما لم يتوصل الإنسان إليه إلا بعد مجاهدات طويلة، وذلك بالاستعانة بالتلسكوبات والأجهزة المتطورة، كما أنه أشار إلى هذه الحقائق في زمن لم يكن للأمة الإسلامية ولا الغربية نصيب من العلم والمعرفة، فلم ينكشف هذا الغطاء عبر تاريخ البشرية الطويل إلا في القرون القليلة المتأخرة بصفة خاصة.

كما أنه يحدثنا عن هذا الكون الذي نعيش فيه ونهيم به حبا وغراما في أسلوب جديد، الأسلوب الإلهي؛ حيث أشار إلى بعض النواميس والحقائق العلمية، وحث الناس على التأمل من أجل هدايتهم، ولم يكتف بذلك فقط، بل أرشد الباحثين المختصين إلى الطريقة الصحيحة في البحث، ووضع أساس المنهاج العلمي السليم الذي يقوم في كتابه على النظر الواعي، والملاحظة العميقة، وإعمال الفكر التي تعتبر مفتاح كل تقدم وكشف، وهو الباب الذي فتح للعلم آفاقه[2] .

لقد تفرَّد القرآن الكريم من بين كل الكتب السماوية المقدسة بعلاقته الوثيقة بالمفتاح المعرفي وبالعلم التجريبي وبالحث على التفكر والتدبر وإعمال العقل في قراءة النصوص وغير ذلك من الأدوات العلمية الخالصة، وتظهر هذه المفاتيح العلمية من خلال استخدامه لمصطلحات صريحة في الدعوة إلى العلم وإعمال الفكر، وذلك في أكثر من موضع في النص القرآني بقوله: "**يتفكرون، يعقلون، يذكرون، يدرسون، يفقهون، أفلا يتدبرون، قل انظروا، يعلمون**" وهي مصطلحات تحفز العقل على الانطلاق وتحطيم القيود والجمود نحو النماء.

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تتحدث عن مظاهر الكون، وحديثه عن الكون هو حديث من يعلم أسراره ودقائقه، فكل آية من كتاب الله تحمل علما إلهيا يعرفه البشر عند ارتقائهم بأسباب العلوم والمعارف في الميدان التي

[1] صلاح عبد الفتاح، المرجع السابق، ص389

[2] يراجع محمود شكري الألوسي، ما دلَّ عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1971، ص5

تتحدث عنه الآيات القرآنية[1]،كما أنه بالإضافة إلى العلوم الكونية يعالج أمورا تاريخية قديمة تبين بعد الاكتشافات الأثرية أنها مطابقة تماما لما جاء في القرآن الكريم، يقول الدكتور موريس بوكاي في كتابه: **'التوراة والإنجيل والقرآن والعلم':" لقد أدهشتني في البداية هذه الصورة العلمية الخاصة بالقرآن، إلى حد بعيد، لأنني لم أكن أظن أنه يمكن حتى هذا الزمن أن يكتشف في نص مكتوب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا، عددا من اليقينيات المتصلة بموضوعات شديدة التنوع ومتفقة تماما مع المعارف العلمية الحديثة...."**[2]. **ويقول أيضا: ".....وقد أعرت انتباها خاصا جدا لما يعطيه من وصف لعدد من الظواهر الطبيعية، لقد أدهشتني دقة تفاصيل الكتاب المندرجة في النص الأصلي بسبب توافقها مع أحدث مفاهيمنا اليوم ...."**[3].

فقد عرض موريس بوكاي من خلال دراسته المقارنة بين الكتب السماوية استنتاجات علمية ربطها بإشارات وردت في آيات القرآن متصلة بعلوم عدة في ميادين مختلفة تمتد من علم الفلك، والفيزياء النظرية، وطب المومياوات، وعلم الآثار، والجيولوجيا المائية، وعلوم النبات، والطيور، والحشرات.

فليس مصادفة أن تقرأ في سورة المؤمنين قوله تعالى:﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ**﴾[المؤمنين12-14]، ثم بعد مئات السنين يقرر العلم الحديث بعد الإستعانة بالمجاهر وأجهزة التصوير والأشعة، أن الترتيب المنصوص في هذه الصورة هو ترتيب خلق الجنين، والأكثر من هذا، أنه لم يمكن الاستعاضة عن ألفاظ القرآن بغيرها، فهي الألفاظ التي تدل على المعنى بغير لبس أو غموض أو زيادة أو نقصان[4].

ومن ذا الذي كان يفهم مثلا عظم هذا القسم الإلهي:﴿**فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ**﴾[الواقعة – 75].

بل إن الله نفسه أكد جهل الإنسان هنا في الآية الكريمة التالية: ﴿**وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**﴾[الواقعة-76] ففي هذا العصر فقط، وبعد أن تقدمت المعرفة الفلكية، بدأ الإنسان في إدراك بعض من عظمة هذا القسم الذي أنزله الله قبل حوالي أربعة عشر قرنا من الزمن، في وقت كانت اعتقادات الناس مزيجا من الخرافات والأساطير ليبرهن بذلك على أن هذا الكتاب الذي حمل هذا الخبر ذا منزلة خاصة ولا يشبه غيره من الكتب ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ**

---

[1] يراجع عبد الله بن عبد العزيز المصلح وآخرون، المرجع السابق، ص21

[2] موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة خالد حسن، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1990، ص147

[3] المرجع نفسه، ص148

[4] يراجع عبدالرزاق نوفل، المرجع السابق، ص75

كَرِيمٌ ﴾ [الواقعة-77]. وسيبقى إدراك الناس لعظمة هذا القسم يزداد مع ازدياد معرفته للمسافات بين المجرات والنجوم والأجرام السماوية [1].

وبالرغم من أن القرآن تناول حقائق الكون يجب أن نضع نصب أعيننا أنه كتاب هداية للناس، يقول تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ**﴾[الذاريات -56،58]؛ فالقرآن الكريم سلك جميع المسالك العقلية والفطرية لحمل الإنسان على هذا الهذف، فلفت الأنظار من أجل ذلك إلى الكون المحيط بأفلاكه، وكواكبه، وليله، ونهاره، وبحاره، وسيوله، وجباله، وسمائه، وشد انتباه الإنسان إلى ما يحيط به وما هو مسخر له لخدمته وتيسير المشقات عليه من الحيوان، والنبات، والجماد[2] .

وختاما، إن القرآن الكريم في طريقة عرضه للهداية والإعجاز قد فتح عيون الناس وعقولهم على الكون وما في الكون من سماء وأرض وحيوانات ونبات وحشرات وسنن ونواميس، وكان القرآن في طريقة عرضه موفقا كل التوفيق؛ لأن حديثه عن الآيات الكونية حديث العليم بأسرارها المتطلع على خفايا أنظمتها وقوانينها، الخبير بدقائقها.

[1] يراجع لؤي فتوحي، شذى الدركزلي، المرجع السابق، ص2

[2] يراجع مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم، الرياض، ط2، 1996، ص171



الفصل الثاني

دراسة تطبيقية لمجموعة من المصطلحات القرآنية العلمية

تمهيد:

لقد أجهد العرب أنفسهم في عصورهم الأولى في اختيار الكلمات والبحث عنها، وانتقائها مجنِّدين لها كل ما منحوه من طاقات العقل، ودفقات الشعور، وجميل الأحاسيس. فقد كانوا في جاهليتهم يدركون ما للكلمة من شأن، وما تُحدثه من أثر ايجابي أو سلبي فيقبلونها أو يردونها نتيجة لما خبروه وما عرفوه. وإذا كان هذا في كلام البشر فهو في كلام الله المتناهي في البلاغة أكثر وضوحا وأشدَّ ظهورا، ولهذا العلوّ في الأسلوب القرآني كان الأعرابي في الصحراء يعشق كلاما واحدا منه أحيانا، فيسجد قبل أن يؤمن، كما سمع أحدهم الآية الكريمة:﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**﴾[الحجر94]، فخرّ ساجدا، فلما سُئِل: أأسلمت؟ قال: لا بل أسجد لبلاغة هذا الكلام.

إن الأسلوب القرآني الفريد وما تضمنه من أحكام رائعة دليل واضح على أنه كتاب الله تعالى، وإذا أضفنا إلى أسلوبه ما احتواه من إشارات علمية صارخة يتبيَّنُ بما لا يدع للشك مرة أخرى أنه فوق مستوى البشر، ففي القرن العشرين اكتشفت حقائق علمية مذهلة، وكثير من هذه الحقائق وردت الإشارة إليها في كتاب الله عز وجل قبل ألف وأربع مئة عام[1]، حيث انطوى القرآن على آيات بيِّنات كثيرة فيها حقائق علمية غاية في الروعة والأصالة والموضوعية فيما يتعلق بالكون وما فيه من سماوات وأرض ونجوم وكواكب.

ومن يتأمل النص القرآني للمرة الأولى يلاحظ غزارة الموضوعات التي تناولت القضايا العلمية ونواميس الكون؛ فالله سبحانه وتعالى لم يغفل عن كل صغيرة إلاّ وأشار إليها في كتابه، ولعل في هذا "رسالة للإنسان كي يعِيَ هذا جيِّدا أن الله هو خالق هذا الكون وهو الذي حدّد قوانينه، وهو الذي أنزل هذا الكتاب ليرينا أن كلامه لابد أن يتوافق مع خلقِه"[2].

وقد أشار موريس بوكاي إلى المعنى ذاته من خلال كتابه" **التوراة والانجيل والقرآن والعلم**"، يقول: **"والذي يدهش فكر من يواجه مثل هذا النص للمرة الأولى، هو غزارة الموضوعات المطروحة، مثل: الخلق، والفلك، وعرض بعض الموضوعات الخاصة بالأرض، وجنس الحيوان، والنبات، وتكاثر الإنسان، تلك الأمور التي نجد عنها في التوراة دون نص القرآن أخطاء علمية كثيرة، تحملني على التساؤل: إذا كان**

[1] يراجع هارون يحي، المعجزات القرآنية، ص9، http://ar.harunyahya.com/

[2] المرجع نفسه، ص9

كاتب القرآن بشرا، فكيف أمكنه في القرن السابع الميلادي كتابة ما يثبت أنه اليوم متفق مع المعارف العلمية الحديثة؟ وليس ثمة أي شك في أن النص الذي بين أيدينا للقرآن هو نص ذلك العصر"[1].

كما أشار بوكاي من خلال كتابه إلى وجود معطيات علمية معيّنة قد فتحت النص أمام فهم أفضل للنص القرآني، وتتمثل هذه المعطيات في المصطلحات التي استعملت في القرآن الكريم للتعبير عن أنظمة الكون وقوانينه والمصطلحات التي استخدمها القرآن دقيقة جدا من الناحية العلمية، والدليل على ذلك أن علماء الفلك في القرن الواحد والعشرين بدأوا في استخدام نفس المصطلحات القرآنية في أبحاثهم العلمية، كما أنهم قد غيَّروا العديد من مصطلحاتهم الكونية لكونهم اكتشفوا خطأ تسمياتهم فعدَّلوها إلى ما هو أدق.

فقد استخدم مصطلح **الفضاء** للدلالة على هذا الكون المترامي الأطراف، ولظنِّهم أن الكون ملئ بالفراغ؛ ولكن بعدما تطورت معرفتهم استطاعوا رؤية بنية معقدة مذهلة، ونسيجا كونيا محكما ومترابطا، فعدلوا عن هذه التسمية إلى استخدام مصطلح **بناء**، والتي سبقهم إليها القرآن في قوله تعالى:﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة22][2].

وما يهمنا نحن في هذا الموضوع ليس فقط الإشارة إلى الحقائق العلمية؛ ولكن من أهم نواحي الإعجاز هو طريقة القرآن الفريدة في صياغة تلك الحقيقة في لغة سهلة سلسة، بحيث صاغ القرآن هذه الحقائق في مصطلحات موجزة لم تصدم عقول العالم في القرون الأولى، ولم تنل من مصداقية الحقيقة العلمية ذاتها، وهذا من عظمة البيان الإلهي أنك تجد كلمة تناسب كل العقول وكل زمان ومكان، فقد ظلت تلك الحقيقة صالحة للفهم الميسور في عصرنا ووفق مدلول تلك الحقيقة العلمية الحديث[3].

فكتاب الله تعالى يخصّ كل لفظة بمعنى لا يتعداه، وكل لفظة وضعت في مكانها بدقة واختيار؛ وذلك لما تحمله من معاني دقيقة تصور الظاهرة بإتقان شديد، ولو جئنا بكلمة في مكانها لن تتناسب أبدا مع المعنى المراد والعجيب في الأمر أن الرؤية العلمية لدى العلماء لم تخرج أبدا عن معاني الكلمات في اللغة العربية، فالنص القرآني

[1] موريس بوكاي ، المرجع السابق، ص149

[2] يراجع عبد الدائم الكحيل، أسرار الكون بين العلم والقرآن، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، سورية، ط1، 2002،ص3، /http://www.kaheel7.com/ar

[3] أحمد صبحي منصور،(معجزة اختيار اللفظ في القرآن: مدخل لعلم قرآني جديد الجزء الحادي عشر)، الخميس 26 سبتمبر2013، http://www.ahl-alquran.com/arabic/printpage.php?doc_type=1&doc_id=11384

لم يُحمَّل معاني لا يحملها؛ ولنضرب مثالا بسيطا على ذلك: لو تأملنا معاجم اللغة العربية نجد أن كلمة **لموسعون** في قوله تعالى:﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾[الذاريات: 47]، تتضمن معاني كثيرة ، والعجيب أن كل هذه المعاني صحيحة ودقيقة من الناحية العلمية، ف "**وسع**" في اللغة تعني "**أطاق**": وإذا تأملنا العدد الضخم الذي يحويه الكون من المجرات، والثقوب، والكواكب، والنجوم والدخان الكوني، والشهب، والنيازك ندرك أن السماء تطيق كل ما خلقه الله فيها من أجسام. وتحمل "**وسع**" معنى "**يتسع**": والسماء تتسع لكل الأجسام التي تسبح فيها. و"**الواسع**" ضد "**الضيّق**": والعلماء يعترفون اليوم بأن الكون واسع وأكبر مما يتصور. **و"أتسع واستوسع**": وهذا المعنى نلمسه في توسع الكون وتمدده باستمرار[1].

لقد اتسع المصطلح القرآني ليشمل كل المفاهيم العلمية الحديثة التي تأكَّد العلماء من صحتها بالبرهان والدليل العلمي، وهذا من بلاغة القرآن في اختياره لمصطلحات دقيقة من الناحية العلمية، إنها تصف الظاهرة وتجلّيها للعيان في أسلوب سلس ولين، فتحس وأنت تطالع هذه المصطلحات التي تتحدث مثلا عن كيفية نزول المطر أو بدء الخلق أو مراحل تطور الجنين في الرحم، تحس وكأنك على اتصال مباشر بها وتربطك صلة أعمق بها، وذلك لكوننا نشترك معا في الفطرة والنشأة، فخالقنا ربّ واحد، لتأتيَ بعدها المعرفة العلمية وتعمِّق هذه الصلة أكثر.

لقد أعطى الله تعالى لكل ظاهرة طبيعية مسمّياتها الحقيقة، وذلك تبعا للحالة أو الوظيفة أو الخاصية أو أشكال أخرى تظهر عليها في الواقع، وهذا ما ذهب إليه العلماء وعلى رأسهم موريس بوكاي الذي كشف عن أنَّ سر تخيُّر مصطلحات بعينها دون غيرها إنما يدل على مزية مطابقة اللفظ للواقع، ومثَّل الدكتور بوكاي لذلك بجملة من الألفاظ رأى أنه لا يمكن استبدالها بغيرها في السياق النّصي الذي وردت فيه، إلاّ أن يقع مخالفة الأمر الواقع وهذا مستحيل تماما، وذكر منها: **علق، دخان، رتق، فتق**، ....إلخ[2].

بل وأكثر من ذلك فإن العادة أن تصاغ الحقائق العلمية في مصطلحات جافة خالية من الجمال اللغوي؛ لكن القرآن يأتي بها في صورة بلاغية متحركة ناطقة مضيئة مطابقة تماما للواقع الذي تظهر عليه الحقيقة، وأكثر من ذلك فإن المداليل العلمية للمصطلحات أكثر وضوحا وبيانا بتلك البلاغة القرآنية[3].

---

[1] يراجع عبد الدائم الكحيل، المرجع السابق، ص17

[2] يراجع هند شلبي، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، تونس، 1985، ص58، 59

[3] يراجع صبحي منصور، المرجع السابق

إن المصطلحات التي تتناول الحقائق العلمية كثيرة ونحن هنا سوف لن نقدم سوى بعض الأمثلة؛ ولكن من خلال هذه الأمثلة نكتشف عظمة الله تعالى الذي خلق هذا الكون لأجلنا، وبلاغته الحكيمة في استخدام مصطلحات تتميّز بالدقة المتناهية في التعبير عن قوانين خلقه.

المبحث الأول: الأرض في القرآن

من الخصائص و السمات التي تميّز كوكب الارض أنها تدور وتتحرك، فهي رغم حجمها الضخم ورغم ما فوقها من حياة وأحياء وحركة، فهي ليست ثابتة في مكان محدد؛ إنما تدور وتتحرك من دون أن يشعر معمِّروها بذلك، وهذا الدوران لا يعوق الحياة فوقها، بل لازم وضروري لها، ففي الوقت الذي ساد اعتقاد الناس بثبات الأرض وسكونها بينما الشمس هي التي تتحرك وبحركتها يحدث الشروق والغروب، نزل القرآن الكريم بالتأكيد على حركتها وجرياناها؛ لكنه استعاض عن التصريح المباشر بهذه الحقيقة، وكنّى عن ذلك بالوصف الدقيق لسبح كل من الليل والنهار لقوله تعالى:﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [الأنبياء33]، واختلافهما لقوله تعالى:﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[آل عمران190]، وتقلبهما لقوله تعالى:﴿**يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾[النور44]، وإغشاء كل منهما للآخر لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا**﴾[الأعراف54]، وسلخ الليل والنهار لقوله تعالى:﴿**وَآيَةٌ لَّهُمُ ٱللَّيلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ**﴾[يس37]،والتعاقب الحثيث لكل منهما، ومرور الجبال مرَّ السحاب لقوله تعالى:﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾[النمل 88][1].

إن في كتاب الله تعالى دلالات متعددة على حركة الأرض حول محورها، كما ورد في القرآن كذلك إشارات تكشف حقيقة شكلها الكروي؛ لكنها لم ترد بصريح العبارة إنما بإشارات هادية معبِّرة مراعاة لمقتضى حال الناس في عصر التنزيل، فلو أن القرآن ذكر بأن الأرض تتحرك وهي تجري في حركتها وهم يحسون أنها ساكنة لكذَّبوه، فكانت من "حكمته البالغة وإعجازه في أسلوبه البلاغي أن ينبِّه الناس إلى هذه الحركات بأسلوب لطيف ورقيق وغير مباشر؛ ولكن بما أنها بيان الخالق فقد صيغت صياغة محكمة بالغة الدقة في التعبير والشمول والإحاطة في الدلالة، حتى تظل مهيمنة على المعرفة الإنسانية مهما اتسعت دوائرها"[2].

[1] يراجع زغلول النجار، تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، ج2، 2007، ص131، 132

[2] المرجع نفسه، ص132

كما تحدث القرآن عن دور الجبال في تثبيت الأرض والحفاظ عليها من الميدان لقوله تعالى:﴿**وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً**﴾ [النبأ7]، فاختار لذلك مصطلحات فاقت دقتها ما توصل إليه العلم الحديث، فقد أحاطت بالظاهرة إحاطة تامة وكشفت عن خواصِّها وكيفية حدوثها، كما نبَّهت العقول إليها بأسلوب لطيف وليِّنٍ.

إن المصطلحات التي تتحدث عن حركة الأرض حول نفسها وشكلها ودور الجبال في تثبيتها كثيرة، وقد انتقيت من بين كل ذلك أربع مصطلحات هادية معبرة عن هذه الحقائق:

1. **يغشي الليل النهار.**
2. **حثيثا.**
3. **مرَّ السحاب.**
4. **مدّ الأرض.**

1- يغشي اللّيل النهار:

يقول الله تعالى:﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اِسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا**﴾[الاعراف54].

و**غَشى** في **اللغة** تأتي بمعنى غطّى وستر، تقول: غشيه غشاوة وغشاءً: أتاه إتيان ما قد غشيه، أي ستره. والغشاوة ما يغطى به الشيء[1]. وفي مقاييس اللغة لابن فارس: الغين والشين والحرف المعتل أصل صحيح يدل على تغطية شيء بشيء، يقال: غشَّيتُ الشيء أُغشِّيه، والغشاء: الغطاء[2]؛ ومنه يتحدد معنى الآية: "**يُغَشِّي اللَّيْلَ النَّهَارَ**"، "أن الله تعالى يغطي بظلمة الليل مكان نور النهار، ويغطي بنور النهار مكان ظلمة الليل على الأرض بالتدريج فيصير نهارا، وهي إشارة لطيفة إلى حركة الأرض اليومية حول محورها"[3].

فآيات إغشاء الليل النهار وإغشاء النهار الليل كناية ضمنية لطيفة عن دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، لأنها لو كانت الأرض ثابتة في مكانها ما تبادل ليل ونهار؛ فدوران الأرض حول محورها كل يوم من الغرب إلى الشرق هو الذي يُحدِثُ الشروق والغروب الظاهرين، فتبدو الشمس طالعة من الشرق وغائبة من الغرب، وهو الذي يُظْهِر تبادل الليل والنهار، فنصف الأرض المواجه للشمس يكون فيه نور النهار والنصف الآخر يكون فيه ليل وظلام، ويتحرك الظلام إلى النور ويغطي (يغشي) النصف الذي كان يشع نورا، ويتحرك النور إلى الظلام ويغطي (يغشي) النصف الذي مُلِئَ ظلاما، وهذا لن يحدث إلاّ بدوران الأرض حول محورها أمام الشمس[4].

ومن بديع الإيجاز ورشاقة التركيب، جعل الليل والنهار مفعولين لفعل فاعل الإغشاء، فهما مفعولان كلاهما صالح لأن يكون فاعل للغشي، ولهذا استغنى بقوله "**يغشي اللّيل النّهار**" عن ذكر عكسه؛ فلم يقل النهار الليل، وذكر فقط الليل النهار [5].

---

[1] يراجع الراغب الأصفهاني، المرجع السابق، ص607، (مادة غشي)

[2] يراجع ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ج4، ص425، (مادة غشي)

[3] زغلول النجار، تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، ج1، ص279

[4] يراجع زغلول النجار، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط13، ج1، 2008، ص47

[5] يراجع الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج8، 1984، ص167

والأرض إذا لم تدر حول محورها وبقيت ثابتة في مكانها، سيصبح لها وجه يواجه الشمس أبدا، ووجه في ظلام دامس يعاني بردا لا يحتمل، بينما يواجه النصف الآخر الحر الذي يكون في مواجهة دائمة مع الشمس، وبالتالي يكون نصفا الأرض لا يصلحان للحياة[1]، ومن رحمة ربنا بنا أن جعل الأرض تدور حول الشمس لتستقيم الحياة وتتوازن .

وهذا من بلاغة القرآن في توصيل الحقائق إلى أفهام الناس؛ أن يخاطب الناس على قدر عقولهم، وهي خصيصة لا يمكن لأحد من البشر أن يأتي مثلها، فنحن نوجه ما نكتب إلى فئة معينة من المجتمع وشريحة تستوعب ما نكتبه وتفهمه، ونصوغ لذلك مصطلحات وتعابير تتماشى وثقافاتهم، كما أننا لا نكتب لكل الأزمنة، بل لكل زمان أبناؤه وعلماؤه، في حين أنَّ القرآن الكريم كتاب الدهر كله، صاغ لكل الأزمنة مصطلحات وتعابير لغوية رقيقة ليِّنة فلا تتصادم مع ما كان سائدا في البيئات القديمة، ولا تتنافى مع ما توصل إليه العلم في عصرنا.

فالله سبحانه وتعالى قد كنى عن حقيقة دوران الارض حول محورها بإغشاء الليل النهار. فهذا المصطلح وبما يحمله من معاني لغوية دقيقة كشف على أن الليل يغطي النهار، والنهار بدوره يغطي الليل؛ لأن الارض تتحرك وتدور بشكل دائم، وحركتها هي التي تتسبب في تعاقبهما، والله تعالى لم ينص على دوران الأرض مباشرة لأنه يعلم جيدا أن إيمان الناس بدوران الأرض أعصى وأصعب من الإيمان بكرويتها، لأن الدوران حركة وبما أنهم لا يشعرون بهذه الحركة أكيد أنهم سيكذبونه ويصفونه بقول الزور والبهتان، وأوضح مثال على ذلك عقاب الكنيسة الكاثوليكية بشدة لكل من قال بدوران الارض وعدم ثباتها كالعالم الفلكي البولندي نيكولاس كوبرنيكس وغاليليو الإيطالي.

[1] يراجع محمد اسماعيل الجاويش، من عجائب الخلق في الكون العظيم، الدار الذهبية، القاهرة، 2005، ص107

2- حثيثا:

في الآية نفسها أشار القرآن إلى حقيقة أخرى تؤكد على دوران الأرض حول نفسها، مصطلح "**حَثِيثًا**"، وهو الموضع الوحيد في القرآن الذي استعملت فيه هذه اللفظة، مشيرا بها إلى السرعة التي يتعاقب بها الليل والنهار بهذا الوصف البالغ الدقة، يقول تعالى:﴿**يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا**﴾ [الاعراف54].

ويقال معنى **الحثّ**: السرعة، وحثثته على الشيء أحثُّه، ومنه الحثيث، وولّى حثيثا: أي مسرعا[1]؛ فالطلب الحثيث إذن هو الطلب السريع.

وما فهمه القدماء من هذه الصورة أنه تشبيه لظهور الليل في الأفق ممتدا من المشرق إلى المغرب عند الغروب واختفاء نور النهار في الأفق بطلب الليل النهار على طريقة التمثيل[2] ، في حين أنَّ علماء الفلك توصلوا إلى حقيقة كونية أشار إليها المصطلح نفسه.

فالله سبحانه يصور لنا الحرص الشديد على طلب الليل للنهار، وطلب النهار لليل بمصطلح **حثيثا**؛ وهو يدل أن طلب بعضهما البعض يتم في سرعة فائقة، وتعاقبهما يكون حثيثيا، ومن دون توقف، ولن يحدث ذلك إلا إذا كانت الأرض نفسها تدور. ونحن نعلم جيدا أن الذي يتسبب في تعاقب الليل والنهار هو دوران الأرض حول نفسها، وإذا كان طلب الليل للنهار يكون سريعا والأرض هي التي تتسبب في حدوث هذا الطلب، وسرعته، فهذا يؤكد لنا من جهة أخرى أن الأرض هي التي تسرع في حركتها وليس الليل والنهار، وهذه السرعة هي التي تُسَبِّبُ الطلب الحثيث بين الليل والنهار كما وصفة القران الكريم. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: إلى أيِّ مدى يمكن أن تصل سرعة الأرض في دورانها حول نفسها؟ هل تغيرت هذه السرعة عبر الزمن أم ظلّت ثابتة إلى يومنا هذا؟

لم يستطع قدامى المفسرين الوصول إلى دلالة هذا اللفظ العجيب، لكونها تشير إلى مفاهيم علمية لم تكتشف إلا في قرون متأخرة، فالعلماء في زماننا قاموا بدراسة المناخات القديمة كما هي مسجلة في سيقان النباتات، وهياكل الحيوانات التي عاشت في الأزمنة القديمة من تاريخ الأرض[3]، والآية الكريمة ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يطلُبُهُ حثِيثًا**﴾ تتحدث عن بدء خلق السماوات والأرض؛ ففي بدء خلقها كانت سرعتها تفوق السرعة الحالية بستة أضعاف

[1] يراجع ابن فارس، المرجع السابق، ج2، (مادة حث)
[2] يراجع الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق، ص167
[3] يراجع زغلول النجار، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ج1، ص47

سرعتها اليوم، فكان طول الليل والنهار معا أقل من أربع ساعات، وكان عدد أيام السنة يصل إلى 2200 يوم، وبدأت الأرض بالتدريج تتناقص وتتباطؤ في سرعتها حتى وصلت إلى إتمام دورتها حول نفسها في أربع وعشرين ساعة، وهو طول اليوم في زماننا هذا، لأن ساعتين فقط لا تكفيان الإنسان للراحة، ولا تكفيانه حتى للإنتاج العملي، والسرعة الفائقة في دوران الأرض حول محورها أمام الشمس في بدء الخليقة سجّلتها الآية القرآنية المبهرة ﴿**يَطْلُبُهُ حَثِيثًا**﴾، التي سبق بها القرآن كافة المعرفة الإنسانية بأكثر من ألف وأربع مئة سنة؛ ومن رحمة ربنا بنا أنه لم يخلقنا إلاّ بعد أن تساوى الليل والنهار تقريبا أثنا عشرة ساعة في الليل، وأثنا عشرة ساعة في النهار، بزيادة أو نقصان قليلين تبعا لتبادل الفصول السنوية[1].

فالمفتاح البلاغي الذي تكمن فيه الإشارة العلمية إلى تلك الحقائق هو مصطلح "**حثيثا**"، وتظهر بلاغة التعبير باستخدام هذا اللفظ لتعبر عن حقيقتين:

- حقيقة دوران الأرض حول نفسها.
- سرعة دوران الأرض منذ بدء الخليقة إلى يومنا.

لقد حمل هذا المصطلح أكثر من حقيقة علمية لم تتجل إلاّ ببزوخ فجر العلم، كما أن الرؤية العلمية لم تخرج أبدا عن المعنى اللغوي للمصطلح، فقد طابق المفهوم العلمي الحديث المعنى اللغوي مطابقة سليمة وتامة.

[1] يراجع زغلول النجار، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ج1، ص47، 48

3- مرَّ السحاب:

يقول الله تعالى:﴿**وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفعَلُونَ**﴾[النمل 88].

تشير الآية القرآنية الكريمة إلى أحد النواميس والسنن التي خلقها الله تعالى على أعلى درجة من الإتقان وهي الجبال، وتلفت أنظار الناس إلى التأمل والتفكر فيها؛ كونها معجزة من معجزات الخلق في هذا الكوكب وهي أبرز ما على سطح الأرض، فقد أصبحت حقيقة حركة الأرض حقيقة علمية يؤكدها أهل الاختصاص. والله سبحانه وتعالى في هذه الآية يشير إلى أن الجبال تتحرك وهي تمرُّ مرَّ السحاب.

فما فهمه علماء البيان من قوله "**مرّ السحاب**" أنه تشبيه بليغ حذِف منه وجه الشبه وأداة التشبيه، والتقدير: وهي –الجبال– تمر مرًّا كمرِّ السحاب، وهو أقوى صور التشبيه بلاغة، لأنه يجعل المشبه نفس المشبه به في الصفة أو الصفات اللاتي يشتركان فيها. كما ذكروا أن مرَّ الجبال يشترك مع مرّ السحاب في صفات متعددة هي وجه الشبه بينهما، دون ذكر هذه الصفات، بل اكتفوا بالقول: وجه الشبه محذوف[1].

وقد توصل علماء الفلك في عصرنا إلى أن الجبال تمرّ مرّ السحاب؛ كون السحب ليست ذاتية الحركة بل هناك قوة خفية تدفعها وتحركها، وهي الرياح، فالرياح هي التي تحرك السحب من مكان إلى مكان، ولو سكنت الريح لبقيت السحب ثابتة بلا حركة وكذلك الجبال.

فالله سبحانه وتعالى يريدنا أن ندرك من خلال التدبر في هذه المصطلحات والتأمل في الكون المحيط حقيقة كون الجبال ليست ذاتية الحركة، أي إنها لا تنتقل بذاتيتها من مكان إلى آخر، فلا يكون هناك جبل في أوروبا، ثم تجده بعد ذلك في أمريكا وآسيا؛ ولكن تحركها يتم بقوة خارجة عنها تتسبب في حركتها. وبما أن الجبال موجودة فوق الأرض، فلا توجد قوة تحرك الجبال إلاّ إذا كانت الأرض نفسها تتحرك، فتحرك معها الجبال التي فوق سطحها. ففي الوقت التي تبدو لنا الجبال ثابتة لأنها لا تغير مكانها، تتحرك وفق حركة الأرض التي تدور حول نفسها، فهي تدور معها تماما كما تحرك الريح السحاب[2].

---

[1] عبد المجيد الزنداني، (وقفات بلاغية مع آيات قرآنية)، الاثنين 17مارس 2014
http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=2750

[2] يراجع يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط2، 2003، ص233

ولذلك استبعد القرآن أي لفظ يعطي الجبال ذاتية الحركة، فلم يقل، وهي "**تسير**"، "**أو تجري، أو تتحرك**"، واختار لها التحرك بشيء آخر "**تمرّ مرّ السحاب**"؛ أي أنها تتحرك بحركة الأرض كما يتحرك السحاب بحركة الريح. ولنضرب مثالا على ذلك: إنك حينما تكون في جسم متحرك حركة ذاتية، لا اهتزازا فيها، فإنك لا تحس بحركته إلا إذا قسته بجسم آخر متحرك، فحين تركب الطائرة والنافذة مقفلة والجو هادئ ومستقر، فإنك لا تشعر بحركتها إطلاقا، فكل شيء داخل الطائرة ثابت بالنسبة لك، فإذا فتحت النافذة وقست حركة الطائرة بشيء آخر ثابت، فإنك تحس بحركتها وترى كل شيء بداخل الطائرة يسرع معها، وكذلك هي الجبال بالنسبة لنا ونحن في الأرض نراها ثابتة وهي متحركة بحركة الأرض حول محورها، كما نرى الأشياء في الطائرة ثابتة وهي متحركة بحركة الطائرة في الجو[1].

فتشبيه حركة الجبال بحركة السحاب، تشبيه علمي بليغ، لأن السحاب عبارة عن كتل ضخمة من بخار الماء، ونوى التكاثف العالقة به، وهو محمول بواسطة هواء ديناميكي متحرك هو الرياح؛ أي أن السحاب لا يتحرك حركة ذاتية بل هو يتحرك حركة مكتسبة من الرياح، والجبال كونها مكونات مرتبطة بالأرض، فهي تتحرك بحركة كوكب الأرض في الفضاء؛ أي أن حركتها هي الأخرى مكتسبة من الأرض، مثلما السحاب يتحرك محمولا على متن الرياح، فالجبال تتحرك محمولة على متن الأرض، ولا يستطيع المرء أن يفهم هذا التشبيه بين حركة الجبال والرياح إلا إذا علم يقينا أن الأرض تتحرك وتدور[2].

إن الوصف القرآني **بمرّ السحاب** وصف دقيق للغاية، ويتوافق تماما مع المعلومات الحديثة في علم الجيولوجيا، وهو وصف يشير إلى حقيقة كون الأرض تتحرك، وحركتها دائمة ومستمرة، وقد استعاض عن ذكر هذه الحقيقة بذكر حركة الجبال التي شبه حركتها بحركة السحاب، وهذه الأخيرة بدورها كشفت أن حركتها حركة غير ذاتية، إنما بقوة تدفعها وهي الرياح، وكذلك هي الجبال، فحركتها من حركة الأرض، والأرض تدور حول محورها، فالجبال إذن تدور بدوران الأرض وتتحرك معها. وهذا من بلاغة القرآن في تعبيره عن الحقائق الكونية، وأسلوبه الفريد في توصيل المعاني إلى أفهام الناس عبر الزمن.

---

[1] عبد المجيد الزنداني، المرجع السابق

[2] يراجع ماهر أحمد الصوفي، الموسوعة الكونية الكبرى(آيات الله في الجبال و الصحاري و الغابات و في النبات و الثمار والأزهار والألوان)، المكتبة العصرية،بيروت،ج9و10، 2008، ص85

4- مدّ الأرض:

يشير المولى عز وجل في كتابه العزيز إلى أن الأرض ممهدة مبسوطة لنا كالفراش، يقول تعالى:﴿**وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَينَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شِيءٍ مَوْزُونٍ وَجَعَلنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ**﴾[الحجر19ـ20].

والمدّ عند جمهور المفسرين هو البسط، فالميم والدال كما يقول ابن فارس أصل يدل على جرّ شيء في طول، واتصال شيء بشيء في استطالة[1]، في حين البسط: فهو نشره وتوسيعه[2]كما يقول الراغب، "وقيل: الأصل في المد أنه زيادة في الطول فقط دون العرض كما في الآية الكريمة: ﴿**أَلَمْ تَرَ اِلَى ربِّكَ كيفَ مَدَّ الظِّلَّ**﴾ [الفرقان45]، وأما البسط فهو زيادة في الطول وفي العرض، أو في الأبعاد الثلاثة (الحجم)كما في الآية الكريمة:﴿**كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ اِلَى المَاءِ**﴾ [الرعد14]"[3].

ومعنى ﴿**وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا**﴾ أن الأرض مبسوطة أمامنا ممدودة إلى مالا نهاية، فإذا وقفت في أي بقعة من الأرض فإنك ستلاحظ انبساطها أمامك وفي كل الاتجاهات، كما أنك ستلاحظ أن الأرض ممدودة إلى نقطة غير محدودة في أيّ اتجاه يقع عليه بصرك؛ بحيث أنك لا تستطيع تحديد نقطة نهاية مد الأرض، فمدّ الأرض إشارة ضمنية ورقيقة إلى كروية الأرض، ولذلك فالله تعالى يشير إلى العديد من الحقائق الكونية بإشارات ضمنية ورقيقة حتى لا تُفَزِّع العقلية البدوية في زمن التنزيل، وتبقى من الناحية العلمية دقيقة دقة مطلقة، فلو قال المصطفى صلى الله عليه وسلم أن الارض مكوّرة، ما صدّقه أحد، لكنه جاء بالبديل وكنّى عن ذلك بمدِّ الأرض وبسطها.

في حين علماء الكونيات قد فهموا من مصطلح **المدِّ** جملة من المعطيات العلمية التي توصلت اليها الاكتشافات العلمية، والتي تندرج تحت الكلمة بالمطابقة السليمة بين المعنى اللغوي والدلالات العلمية، ونوجز ذلك فيما يلي:

إن من فَهِم الآية الكريمة ﴿**والأرض مددناها**﴾ بمعنى الأرض بسطناها، لم يفهم الحقيقة العلمية التي ذكرتها هذه الآية؛ ولكن المعنى يجمع بين الإعجاز اللغوي والإعجاز العلمي، فيعطي الحقيقة الظاهرة للعين(البسط)

[1] يراجع ابن فارس ، المرجع السابق، ج5، ص269(مادة مد)

[2] يراجع الراغب الأصفهاني، المرجع السابق،ص763(مادة مد)

[3] احمد المرسى حسين جوهر، الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بين الآيات القرآنية و النظريات العلمية، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، ط1، 2000، ص10

والحقيقة المختفية عن العقول(التكوير) في وقت نزول القرآن؛ حيث ساد الاعتقاد بأنها مبسوطة ومسطحة فأطلق عليها اسم البسيطة.

والله سبحانه وتعالى عندما ذكر أن الأرض ممدودة لم يحدد أيَّ أرض، بل قال الأرض على اطلاقها، أي إنك أينما تنظر في أي اتجاه تراها أمامك مبسوطة، فإذا كنت في القطب الجنوبي أو الشمالي أو اوروبا وكل قارات العالم، فالأرض ممدودة مبسوطة ممدودة أمامك إلى مالا نهاية، ولا يمكن أن يحدث ذلك إلاّ إذا كانت كروية الشكل فالمدّ إلى ما لا نهاية هو قمة التكوير، فلو كانت الأرض مثلا مربعة أو مستطيلة أو مثلثة، لا يمكن أن تمتد إلى ما لا نهاية، لأنك ستصل في نهاية المطاف إلى نهاية الأرض وهي حافتها، بعدها ستجد نفسك تسبح في الفضاء، فالشكل الكرويّ هو الذي يعطي للأرض هذا الامتداد في كل الاتجاهات. حتى إذا بدأت السير من أي نقطة محددة على سطح الكرة الأرضية، ثم ظللت تسير حتى عدت إلى نقطة البداية، فإنه طوال مشوارك تراها ممدودة أمامك[1].

وهذا من بلاغة القرآن في تعبيره عن حقائق الكون، حيث يأتي باللفظ الواحد ليناسب ظاهر الأشياء ويدل على حقيقتها الكونية، فالأرض المبسوطة أمامنا التي مُدَّت مدّا عظيما تحمل إشارة ضمنية إلى كروية الأرض، والمصطلح بمفرده بلّغ هذه الحقيقة وأوصلها إلى أفهام الناس بلطف في كل زمان، وبلاغة المصطلحات في القرآن الكريم عند تصويرها وصياغتها لهذه الحقائق تظهر من خلال دقة اختيار مصطلحات دون غيرها في السياق للتعبير عن هذه المفاهيم الكونية؛ فالنص القرآني اشتمل على دلالات متعددة ومتنوعة حول كروية الأرض كما أنه نوّع في توظيف المصطلحات الدالة على هذه الحقيقة، وهي حكمة بالغة من الله تعالى في وصف الأرض تارة بالبسط وتارة بالمد؛ فلو مثلا تحدث القرآن عن انبساط الأرض وسكت لفهم العلماء أن الأرض مسطحة الشكل، ولو قال أن الأرض ممدودة لفهموا كذلك أن لهذا المد نقطة نهاية وحافة تنتهي إليها الأرض لأنه لكل بداية نهاية؛ لكنه أشار في سياقات مختلفة من القرآن أنها مبسوطة وممدودة، وكما ذكرنا سابقا أن المد هو الزيادة في الطول والبسط هو الزيادة في العرض والطول، وهذا معناه أن حقيقة الأرض مبسوطة في كل بقعة منها ممدودة أمامنا، و مد الأرض إلى مالا نهاية هو قمة تكويرها.

[1] يراجع يوسف الحاج أحمد، المرجع السابق، ص231

5- الجبال أوتادا:

من أجل أن تكون الأرض صالحة للحياة خلق الله الجبال، وهذه حقيقة قد تثير الدهشة؛ إذ كيف تكون الجبال وهي عوائق رهيبة ظلت آبادا طويلة بعيدا عن سيطرة الانسان، كيف تكون معينا على الحياة بل تكون سببا في استقرار الأرض وتحقيق الأمان، وهذه الحقيقة اكتشفها العلم وأكدها العلماء؛ حيث أشار الله تعالى في محكم تنزيله إلى الدور الذي تلعبه الجبال في حفظ الأرض من الميدان باعتبارها أوتادا ورواسي تثبتها، فالجبال موزعة بدقة على سطح الكرة الأرضية توزيعا جغرافيا مذهلا يساعد على تحقيق التوازن بين المرتفعان والمنخفضات حتى لا تميد ولا تضطرب[1]، وقد أشار الله تعال في القرآن إلى الدور الذي تقوم به باستعمال مصطلحات دقيقة تشير إلى أن الجبال مسخرة لتثبيت القشرة الأرضة من التحرك، يقول تعالى:﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا والجِبَالَ أَوتَادًا**﴾ [النبأ6، 7].

فالوتد كما عرفه زغلول النجار:" كتلة من الخشب مدببة الطرف تثبت بها أركان الخيمة إلى الأرض سواء كان ذلك ترابا أم صخرا، أغلبها يكون مدفونا في الأرض وأقلها يكون ظاهرا فوق السطح ووظيفتها التثبيت[2]"، وقد أجمع العلماء على أن الجبال هي مجرد نتوءات فوق سطح الأرض، وكما أن الوتد مدفون في الأرض، وأقله ظاهر فوق السطح ووظيفته التثبيت، أثبتت الدراسات مؤخرا أن الجبال تشبه الأوتاد في انغراسها في داخل القشرة الأرضية، فكل بروز فوق اليابسة له امتدادات في داخلها يبلغ طوله ضعف ارتفاعه على السطح، كما أن الجبال تعتبر وسيلة رائعة لتثبيت كتل القارات من الميدان وجعلها صالحة للعمران، بالإضافة إلى كونها وسيلة رائعة لتثبيت الأرض في دورانها حول محورها[3] .

ففي هذا الحيّز يتضح لنا أن الجبال تشبه الأوتاد في ثلاثة أمور: في الشكل الظاهري والامتداد الداخلي كونها نتوءات تظهر فوق الأرض أغلبها مدفون في أعماقها، وكذلك الأوتاد أقله ظاهر فوق السطح، ووظيفتها مهمة فهي تثبت وتحفظ توازن الأرض كما تثبت الأوتاد الخيام في الصحراء.

وقد أشار علماء البيان إلى أن تشبيه الجبال بالأوتاد تشبيه بليغ، لأنه يجعل المشبه والمشبه به يشتركان في صفة أو مجموعة من الصفات هي وجه الشبه بينهما، والتشبيه البليغ هنا هو من قبل الله سبحانه، كما أنه تشبيه

[1] يراجع محمد اسماعيل الجاويش، المرجع السابق، ص 149

[2] يراجع زغلول النجار، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ج1، ص83

[3] يراجع المرجع نفسه، ص83، 84

للأعلى بالأدنى، وللفخم الرائع(الجبال) بالضئيل الممتهن عند الناس، ولكن هذا التشبيه هو دليل إلى أمور في الجبال التي هي من آيات الله في الخلق. فكأن ذلك التشبيه العجيب مفتاح أو مصباح يستكشف به المجهول من أمر الجبال عن طريق المعروف من نظائرها كالأوتاد[1].

فهي كما قلنا سابقا تشبه الأوتاد من ناحية البروز عل سطح الأرض، والرسوخ فيها، لكن التشبيه بينهما أشمل وأدق من هذا، فالأوتاد تختلف من ناحية البروز ودرجة الميل، وكذلك الجبال تختلف في الارتفاعات وفي درجات الميل، والأوتاد يختلف رسوخها باختلاف صلابتها وشكلها ومدى ذهابها في الأرض وطبيعة تلك الأرض، وكذلك الجبال تختلف من ناحية الرسوخ في الجوانب تلك، بالإضافة إلى هذا، من وجوه الشبه التي تجمع ما بين الأوتاد والجبال العوامل والقوى التي تسببت في ايجادهما، فالأوتاد لابد من تشكيلها ثم تثبيتها لقوة ما وكذلك الجبال فقد ساهم في نشأتها عوامل طبيعية لم تكن تخطر ببال إنسان عند نزول القرآن، ولم تكتشف إلا بعد تطور العلاقة ما بين الانسان والطبيعة عن طريق العلم. فَقِوَى تكوين الجبال دلّ عليها القرآن كحقيقة علمية عن طريق التشبيه البليغ بالوتد[2].

اكتشف علماء طبقات الأرض أن الأرض قد تعرضت قديما لسلسلة من التقلبات والتفاعلات البركانية والحركات الأرضية ترتبت عليها أن تصير على هذا النحو الشاهد، لقد هبطت أجزاء منها صارت محيطات، وبرزت أجزاء منها صارت قارات، وارتفعت أجزاء منها فوق القارات لتكُون هي سلاسل الجبال، كما ارتفعت أجزاء من البحار والمحيطات لتكوّن سلاسل جبال مغروسة جذوها في الماء، كما أن لعوامل التعرية من نحو الرياح والأمطار والتمدد بالشمس والتقبض بالبرودات المختلفة دور كبير في تشكل الجبال على مر الزمن[3].

نخلص في الأخير إلى وجود تشابه يكاد يكون تاما ما بين الجبال والأوتاد، فقد كان هذا التشبيه دليلا على أمور في الجبال كانت غائبة عنا، سواء في النشأة أوفي قوى الإيجاد، والوظيفة، والتشكيل الظاهري والامتداد الخارجي، بالإضافة إلى درجة الصلابة والميل. وهذا من بلاغة اختيار المصطلحات في القرآن للتعبير عن نواميس الكون ، فلن تجد أبلغ من لفظة "**وتد**" التي تصف كل هذه الجوانب في الجبال، فقد كشف هذ المصطلح عن فيض من الحقائق العلمية للجبال عن طريق التشبيه البليغ.

---

[1] يراجع محمد أحمد الغمراوي ، المرجع السابق، ص286

[2] يراجع المرجع نفسه، ص286، 287، 288

[3] يراجع محمد اسماعيل الجاويش، المرجع السابق، ص150

المبحث الثاني: السماء في القرآن

السماء الفراغ اللانهائي الذي لم يقدر العلماء على كشف أسراره، نظام رائع تتحرك فيه المجرات والنجوم والكواكب، وكل ذلك بتلاؤم رائع و تام. لقد ورد ذكر السماء و السماوات في القرآن الكريم مرارا و تكرارا لقوله تعالى:﴿**وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾[البقرة: 22]، وقوله:﴿**وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا**﴾[الأنعام: 6]، وقوله تعالى:﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾[البقرة: 255]، وقوله عزَّ من قائل:﴿ **إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ**﴾[الصافات: 6].حيث أبطل القرآن من خلال هذه الآيات اعتقادات وتصورات وخرافات باطلة حول حقيقة السماء، وكيفية خلقها، ونظم اشتغالها، فقد ساد قديما أن السماء "**لا يمكن أن ترفع إلا بأعمدة خشبية حتى لا تقع على الأرض**"[1].

يقول تعالى:﴿**اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَونَهَا**﴾ [الرعد2]، فهذه الآية أبطلت بأن السماء تبقى فوقنا بواسطة الجبال؛ حيث أثبت العلم الحديث أن معناها العلمي الواقعي" كل ما يحيط بالأرض من جميع أقطارها ابتداء من الغلاف الجوي إلى أبعد نقطة في الفراغ الكوني (الفضاء) والذي تسبح فيه الأجرام بما فيها القمر وسائر الكواكب والنجوم والمجرات"[2] .

وسميت السماء سماء لعلوها على الأرض، فكل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماء، ولذلك قيل لسقف البيت سماؤه، لأنه فوقه، و مرتفع عليه، ولذلك قيل: سما فلان لفلان، إذا أشرف له وقصد نحوه عاليا عليه، فكذلك السماء سميت للأرض سماء لعلوها وإشرافها عليها [3].

إن هذا النظام الكوني الذي سُخِّر لنا شاء له الخالق العظيم أن يحافظ على توازن الحياة واستمرارها على سطح الأرض، فقد زوده الله بمجموعة من الأنظمة والخصائص التي بها تُحمي الأرض وما عليها، وأشار إلى ذلك بمصطلحات دقيقة سبقت ما توصلت إليه الأبحاث العلمية الحديثة.

---

[1] رفيق أبو السعود، إعجازات حديثة ورقمية في القرآن الكريم، دار المعرفة، دمشق، ط3، 1993، ص27

[2] مصطفى مسلم، المرجع السابق، ص50، 51

[3] يراجع عبد القادر بن أحمد بدران، جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، ط1، 1999، ص97

1- ذاتِ الرَّجْعِ:

في الآية الحادية عشر من سورة الطارق يشير المولى عز وجل إلى وظيفة مهمة من وظائف السّماء وهي "**الرجع**"، يقول تعالى:﴿ **والسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ**﴾ [الطارق11].

إن الوصف القرآني للسماء بالرّجع دليل على أنها تقوم بإرجاع أشياء عديدة لا يمكن أن ندركها بالعين المجردة، أو نحس بذلك، إنما القرآن أشار إلى هذه الخاصية إشارة لطيفة رقيقة، من أجل تنبيه العقول على البحث لفهم الحكمة البالغة من خلقها، وكشف أسرار اشتغالها.

فالرّجع في **اللغة** : الإعادة، والرجوع: العود إلى ما كان منه البدء[1]. وفي مقاييس اللغة: الراء و الجيم والعين أصل مطرد منقاس يدل عل ردٍّ وتكرارٍ، تقول: رجع يرجع رجوعا، إذا عاد، و الرّجع: الغيث وهو المطر[2]، كما يقال: رجع ويرجع رجعا ورجوعا ورجعى: انصرف، وقوله: ربّي ارجعون أي ردوني، وتراجع القوم: رجعوا إلى محلهم، ورجَّع الرجل وترجَّع: ردَّد صوته في قراءة أو آذان، وترجيع الصوت: ترديده في الحلق، وارتجع إليَّ الأمر: ردَّه إليَّ، وارتجع المرأة وراجعها مراجعة ورجاعا: رجعها إلى نفسه بعد الطلاق، والمراجعة : المعاودة، والرَّجيع من الكلام: المردود إلى صاحبه[3].

فالرّجع لغة هو العود والارتداد والانصراف والإعادة؛ ولذلك يقال للمطر رجعا لردِّ الهواء ما تناوله من ماء الأرض بطريقة مستمرة، ومن المعنى اللغوي يتجلّى لنا أنه من الصفات البارزة في سمائنا أنها **ذات الرَّجع** ؛أي ذات ارتداد، وصرف، وهذا معناه أن كثيرا مما يرتفع إليها من الأرض تردُّه إليها ثانية، وكل ما يهبط إليها من خارجها يرتدُّ ثانية إلى المصدر الذي هبط منه، فالرجع خاصية أساسية من خصائص السماء أودعها الله تعالى فيها خالق الكون، ولولا وجود هذه الخاصية ما استقامت الحياة، ولا استمرت، والله سبحانه وتعالى لا يقسم إلاَّ بعظيم، والقسم هنا جاء تعظيما لشأنها.

وإذا اتفق رأي القدماء على أن السماء تقوم بإرجاع المطر إلى الأرض، فهل هذا معناه أن دلالات الكلمة من خلال التعبير القرآني تقتصر فقط على إرجاع بخار الماء في شكل أمطار إلى الارض، أم أن المعنى يتسع ليشمل مفاهيم علمية أكبر، وحقائق لم يرتق تفكير القدماء إليها، ولم يدركها العلماء إلاّ بعد عشرات قليلة من السنين.

---

[1] يراجع الراغب الأصفهاني، المرجع السابق، ص342، (مادة رجع)

[2] يراجع ابن فارس، المرجع السابق، ج2، ص490، 491، (مادة رجع)

[3] يراجع ابن منظور، المرجع السابق، ج8، ص114، 115و117، (مادة رجع)

ولابد أن نشير هنا إلى أن مصطلح **السماء** في القرآن يُفهم من مدلولها تارة الغلاف الجوي للأرض، وتارة أخرى الفضاء الفسيح، وذلك بحسب سياق الآية الواردة فيه، فالقرآن الكريم استخدم المصطلح نفسه للدلالة على مفهومين أساسين للسماء، وأغلب الرأي أن المقصود بالسماء في هذه الآية ﴿**والسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ**﴾، الغلاف الجوي المحيط بالكرة الأرضية، فقد كشف علماء الفلك أن الأرض محاطة بغلاف جوي يلفها من كل جانب، مقسّم إلى طبقات متعددة، كل طبقة تؤدي وظيفة معينة لفائدة البشرية، تقوم بإرجاع أي جسم غريب أو أشعة تدمر الحياة على سطح الأرض، كما تقوم بإرجاع أشكال الحياة الى الأرض[1]، وهي كالتالي:

1 –طبقة التروبوسفير: تبعد عن الأرض ما يقارب ثلاثة عشر إلى خمسة عشر كم، تقوم بإرجاع بخار الماء المتصاعد إلى الجو بعد أن يتكثف في شكل مطر أو برد أو ثلج، وبدرجة أقل على هيئة ندى أو ضباب، كما أنها تقوم بالرجع الحراري إلى الأرض، ولولا الغلاف الغازي لتشتت الحرارة في الكون الفسيح، وتجمدت الأرض وما عليها، كما أن طبقة التروبوسفير ترجع الغبار والأبخرة المرتفعة من سطح الأرض خاصة عند ثوران البراكين، فتعيده مباشرة إليها[2].

2– طبقة الأوزون: تبعد عن الأرض بخمس وعشرين كم تقوم بإرجاع الإشعاعات القادمة من الفضاء الخارجي، وتحويل الأشعة فوق البنفسجية القادمة مع أشعة الشمس بواسطة جزيئات الأوزون، فترد نسبة كبيرة منها إلى خارج ذلك النطاق.

3– طبقة الأيونوسفير: تقوم برجع الإشارات الرّاديوية بواسطة النطاق المتأين، وتردها إلى الأرض، فتيسّر عمليات البث الإذاعي، والاتصالات الراديوية، والمكالمات إلى مسافات بعيدة .

4– طبقة الماغنوسفير: يُطَر الغلاف الجوي للأرض بوابل من الأشعة الكونية التي تصدرها الشمس وغيرها من النجوم، والتي تملأ فسيح الكون، فتَرُدُّ هذه الجزيئات مباشرة إلى مصدرها بواسطة أحزمة الإشعاع والنطاق المغناطيسي للأرض، فلا يصل إلى سطح الأرض شيء منها، فتؤدي هذه العملية – **الرجع** –إلى عدد من ظواهر التوهّج والإضاءة في ظلمة الليل، مثل ظاهرة **الشفق أو الفجر القطبي**[3].

---

[1] يراجع زغلول النجار، من آيات الإعجاز العلمي (السماء في القرآن الكريم)، دار المعرفة، لبنان، ط4، 2007، ص297، 298

[2] يراجع أحمد مصطفى متولي، المرجع السابق، ص21، 22

[3] يراجع المرجع نفسه، ص23

فهذا خالق الكون يصف السماء بمصطلح واحد **"الرّجع"**، في حين اتسعت دلالات الكلمة لتشمل مفاهيم علمية لم يصل إليها العلم إلا في أبحاث متأخرة كشفت على أن غلافنا الجوي مقسم إلى عدة طبقات، وكل طبقة تؤدي وظيفة معينة لصالح البشرية، فكلمة واحدة فقط استخرج منها العلماء فيضا من المعارف الكونية والحقائق العلمية. ولن تجد أبلغ من هذه المفردة لكي تعبر عن هذه الحقيقة، إنها كلمة صوّرت المعنى بدقة وأكمل تصوير يشعرك به أتمّ شعور وأقواه.

2 – السّقف المحفوظ:

يلفت الله سبحانه وتعالى من خلال قرآنه إلى خاصية مهمة من خصائص السماء بقوله:﴿**وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ**﴾[الأنبياء32].

فقد وصف الله سبحانه السّماء **بالسقف المحفوظ**، ونحن نعلم أن السقف هو "كل ما علاك وكان له بناء يحفظك من البرد والصواعق وأشعة الشمس، ومن كل داخلة عليك من أيِّ نوع من الخلق"[1]، والأسقف التي بين أيدينا والتي نشهد دورها في حمايتنا هي أسقف البيوت والعمارات المختلفة، إنها توفر لنا الحماية من أي خطر يهدّد حياتنا، كما أننا لا نحس بالأمان والهدوء إلا تحت هذه الأسقف. وقد تساءل العلماء عن الكيفية التي تتمكن بها الأرض من الصمود أمام عناصر التهديد الدائمة، وفي مقدمتها الأشعة الكونية والشمسية القاتلة للحياة وكذلك الشهب والنيازك المدمرة؛ لكن القرآن الكريم أشار إلى هذه الكيفية منذ ألف وأربع مئة سنة بقوله: ﴿**وجعلنا السّماء سقفا محفوظاً**﴾، فالله سبحانه وتعالى استخدم في التعبير عن دور السماء في ازدهار الحياة على الأرض "**السقف المحفوظ**"، وذلك لكونها الدرع الواقي والحصن المنيع الذي يدفع عنا أخطر التهديدات الكونية، وهذا ما أثبته العلم بالبحث والاكتشاف.

إن الأبحاث العلمية في القرن العشرين أثبتت أن الغلاف الجوي يعتبر من أهم العوامل التي مكنت استمرار الحياة على الأرض، كما أنها أكدت ميزة كونها سقفا محفوظا ، فهي مزودة بسقف يحفظنا ويحمينا، وهذا السقف هو **الغلاف الجوي** المحيط بكرتنا الأرضية، حيث يقوم بعمل مهم وجاد ودائم، فهو يذيب أحجار الفضاء الكبيرة منها والصغيرة، وبإذابتها يمنعها من السقوط على الأرض وإلحاق أضرار بالكائنات الحية، بالإضافة إلى ذلك فإن الغلاف الجوي يصفي شعاع الضوء الآتي من الفضاء، والجانب الغريب في الأمر أن الغلاف الجوي لا يسمح بمرور إلا الإشعاعات غير الضارة كالضوء المرئي والأشعة فوق البنفسجية وموجات الراديو، أما الأشعة فوق البنفسجية فيسمح الغلاف الجوي بقسم منها بالمرور، وهو القسم الذي تحتاج إليه النباتات في عملية التمثيل الضوئي، في حين الباقي يصفى من خلال طبقة الأوزون. كما أن الغلاف الجوي يحمي الأرض من برد الفضاء المجمِّد الذي يصل إلى مئتان وتسع وسبعون درجة مئوية تحت الصفر [2].

[1] ماهر أحمد الصوفي، الموسوعة الكونية الكبرى (آيات الله في خلق الكون ونشأة الحياة)، ج3، ص288

[2] يراجع هارون يحي، المعجزات القرآنية، ص20و23، http://ar.harunyahya.com/

والغلاف الجوي ليس الوحيد الذي يحفظ الأرض من الأخطار، فهناك المجال المغناطيسي أو النطاق المغناطيسي أو الأحزمة المسماة (**فان ألان**) التي تحفظ كوكب الأرض من الأشعة الكونية التي إذا ضربت الأرض ستؤدي إلى تدمير الطبقات العليا للجو الأرضي، بما فيها طبقة الأوزون التي تحمي الأرض من أخطار الأشعة الشمسية فوق البنفسجية، فلولا وجود أحزمة **فان ألان** المغناطيسية لكانت الانفجارات العظيمة للطاقة الشمسية الطاقة المدمرة للأرض. إن الطاقة التي ينقلها انفجار واحد من هذه الانفجارات التي تم حساب قوتها مؤخرا تعادل قوة مائة بليون قنبلة ذرية شبيهة بتلك التي ألقيت فوق هيروشيما [1].

وهكذا يشكل النطاق المغناطيسي مع الغلاف الجوي للأرض درعا واقيا لكوكبنا ، فهو سقف سماوي محفوظ من الأخطار التي تهدده من فوقه، ومن هنا يتضح لنا دقة اختيار هذه المصطلحات في القرآن الكريم ، فالدور الذي تؤديه السماء من فوقنا لا يبتعد كثيرا عن دور أسقف بيوتنا ، إنها توفر لنا الحماية والأمان ، كما أنها تشكل ذروعا منيعة من كل خطر، وإذا افترضنا أن الأرض هي البيت الذي تسكن فيه الكائنات بمختلف أنواعها، فلابد أن يكون لهذا البيت سقف يعلوه ، والله سبحانه وتعالى الذي ألهم الانسان كيفية بناء أسقف تحفظه، بنى له سقفا من فوقة يحفظه وزيّنه حتى لا يشعر بوجود أخطار تهدد سلامته.

وباختيار هذا المصطلح بلغ القرآن منتهاه في حديثه عن حقيقة خلق السماء، فدورها الذي تؤديه بعد الاطلاع على ذلك عبر التلسكوبات أثبت أن اختيار هذا المصطلح في القرآن كان اختيارا دقيقا وسليما ومطابقا للعلم الحديث.

[1] يراجع هارون يحي، المعجزات القرآنية، ص23

3 – بغير عمد:

لقد ساد الاعتقاد قديما أن السماء تبقى محفوظة فوقنا بسبب الجبال، وبنزول القرآن الكريم أزال هذه الخرافات الأسطورية وأكد أن السماء مرفوعة فوقنا بغير أعمدة ،لقوله تعالى:﴿**اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾[الرعد2] ، حيث أبطل القرآن من خلال هذه الآية الكريمة الخرافات القديمة عن كيفية رفع السماء فوقنا، وأثبت أن هذا النظام الكوني البديع إنما تحكمه مجموعة من القوانين الفيزيائية خلقها الله وسخرها لاستمرار الكون.

والعمَد والعُمدُ هي الدعائم، وهو اسم جمع مفرده عماد، والعماد هو ما يعمد إليه أي يستند إليه، والعمد على الشيء الاستناد اليه، يقال: عمدت الشيء: أسندته ، والشيء الذي يسند إليه عماد، والعَمْد : أن تعمد الشيء بعماد يمسكه ويعتمد عليه[1]، وعمد الحائط يعمده عمدا: دعمه، وعمد الشيء يعمده عمدا: أقامه. والعماد : ما أقيم به. وعمدت الشيء فانعمد أي أقمته بعماد يعتمد عليه. والعماد: الأبنية الرفيعة [2].

فالله سبحانه وتعالى نفى من خلال قرآنه رفع السماء بدعائم تستند إليها فجاء المصطلح "**بغير عمد**" للتنبيه إلى حقيقة أن السماء مرفوعة إلى الأعلى لكن رفعها ليس بالعماد التي نراها والتي نعتمد عليها في الاستناد أو رفع الأبنية إلى الأعلى، وهي إشارة رقيقة لطيفة إلى وجود عنصر مهم يعمل عمل العماد ألا وهي قوى الجاذبية التي خلقها الله، وهي قوى طبيعية سخرها الله لنا ما بين السماوات والأرض من أجل أن تحفظ السماء فوقنا كالسقف المحفوظ، ولولاها لما استمر الكون ولما توزعت المجرات والنجوم والكواكب بهذه الطريقة، فكل يسبح في فلكه بفضل قانون الجاذبية.

لقد أثبت العلم الحديث أن الجاذبية العامة قانون كوني موجود في طبيعة الأشياء كلها ويعمل بصمت في السماء والأرض، وينص هذا القانون على أن أي كتلتين في الوجود بينهما قوة جذب، وقوة الجاذبية هي القوة غير مرئية التي يعتمد بناء السماء عليها كما في قوله تعالى: ﴿**اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾، ويعمل قانون الجاذبية على منع سقوط الأجرام السماوية في هاوية الفضاء[3]. وقد اكتشف العالم الانجليزي نيوتن هذا القانون، فقد لاحظ سقوط تفاحة من شجرتها على الأرض، وأخذ يفكر في سبب سقوطها إلى أن وصل إلى قوة

[1] يراجع ابن فارس، المرجع السابق، ج4، ص137، (مادة عمد)
[2] يراجع ابن منظور، المرجع السابق، ج3، ص303، (مادة عمد)
[3] يراجع عبدالعليم عبد الرحمن خضر، المرجع السابق، ص229

الجاذبية؛ فقانون الجاذبية هو الذي يجعل أجرام السماء تدور حول بعضها وكل في فلكها. وتعمل الجاذبية في كل الأشياء كبيرها وصغيرها، والكل يتجاذب، وإن لم يظهر إلا أثر الكبير في الصغير، فالشمس تجذب الأرض والأرض تجذب القمر، بل وتجذب كل شيء قريب منها بقوة نشعر بها جميعا، وأنت سجين الجاذبية لأنك لا تستطيع أن ترتفع عن الأرض لأنها ستجذبك إليها، فالطائر عندما يموت يقع على الأرض، ورفع الحجر عن الأرض يتطلب مجهودا، والصعود إلى الجبل أشق من النزول منه بسبب الجاذبية. ومن فضل الله علينا أن الجاذبية الأرضية قد حفظت لنا الغلاف الجوي الذي يحيط بأرضنا، ولولا الجاذبية لهرب الهواء وانعدمت الحياة على كوكبنا، وقوة الجاذبية هي التي جعلت الشمس تمسك بالأرض وباقي كواكب مجرتنا فتدور حولها؛ لكن كل في فلكها، فلو أن قوى الجاذبية التي بينها وبين الكواكب انقطعت، لسار كل جرم في سبيله ووفق خط مستقيم [1].

إن اختيار مصطلح **بغير عمد** اختيار دقيق من الناحية العلمية، لأنها صورت المعنى المراد بدقة، إذِ المقصود من رفع السماوات بغير عمد مبنيَّة مشيَّدة ليس نفي وجود عماد يحكم السماء من أن تقع على الأرض؛ إنما هو نفي الاعتقاد السائد أن هناك وجود دعائم ترتكز عليها السماء في أطرافها. وهو اعتقاد ساد عند القدماء حيث اعتبروا أن السماء تستند على الجبال لكي لا تقع على الأرض، ومع هذا فالله سبحانه وتعالى قد أكد من خلال الآية:﴿**اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾ أن السماء مرفوعة فوقنا؛ لكن رفعها ليس بالدعائم والعماد، إنما بقوى خفية تعمل على تحقيق التوازن في الكون، وهي قوى الجاذبية الخفية. فالآية الكريمة تشير إلى حقيقة كون السماء مرفوعة؛ لكن المصطلح **بغير عمد** جلَّى الحقيقة ووضّحها بدقة، وهو إشارة ضمنية إلى الحقيقة الفيزيائية "**الجاذبية**".

[1] يراجع عبدالعليم عبد الرحمن خضر، المرجع السابق، ص229 -234

المبحث الثالث: النبات في القرآن

إن وجود النبات ضروري لبقاء الكائنات الحية على الأرض، فالنباتات الخضراء هي من العوامل المهمة التي تضمن وجود العناصر الضرورية لحياة الإنسان، ولجميع الكائنات الحية، إنها تحافظ على التوازن البيئي، بالإضافة إلى كونها مصدرا رئيسيا للطاقة اللازمة للحياة على الأرض[1]، ووجود هذه النباتات ونموها يتطلب وجود عنصر أساسي تتغذى عليه، وهو الماء، فالماء أصل الحياة على سطح الأرض، حيث بدونه لن تكون هناك حياة عليها ولأهميته الشديدة فقد ذكره الله تعالى في العديد من السور لكونه الظاهرة الطبيعية الجوهرية التي تحكم عملية الإمداد المستمر لمصدر الحياة لدى جميع الكائنات الحية، يقول تعالى:

﴿ وجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء 30]

وقد سجّل القرآن الكريم حركة عجيبة للتربة حين نزول الماء عليها، يقول تعالى:

﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيهَا المَاءَ اِهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج5]، وقوله:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وربَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ المَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٍ﴾ [فصلت39].

فإنزال الماء على الأرض يتسبب عنه حدوث آيات ثلاث أكد علماء الأرض حدوثها دون أدنى شك، ووصفها القرآن الكريم بمصطلحات ثلاث دقيقة ورقيقة وهي:

اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ

[1] يراجع هارون يحي ، معجزة النبات، تحقيق أورخان محمد علي، ص11، http://ar.harunyahya.com/

1 – اهتزّت :

لقد وصف القرآن حقيقة اهتزاز الأرض الهامدة أو التربة في ختام الآية الخامسة من سورة الحج بقوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيهَا المَاءَ اِهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾، فالأرض الهامدة هي الأرض التي ظاهرا لا حياة ولا حركة فيها، فإذا أنزل عليها المطر من السماء تبدأ جزيئاتها الدقيقة بالاهتزاز، فتتشرب حبيبات التربة الماء، فتربو ثم تتفتح الحياة عن النبات.

والاهتزاز في **اللغة** يدل على الانتفاض والحركة ، فالهزّ يدل على اضطراب في حركة[1]، والهزّ: التحريك الشديد، يقال: هززت الرّمح فاهتزّ، وهززت فلانا للعطاء، واهتزّ النبات إذا تحرك لتضاربه[2]، والهزة الأرضية هي الزلزلة الشديدة للأرض نتيجة حركة الصفائح التكتونية في باطنها.

والاهتزاز في **الاصطلاح**: "هو حدوث حركة اهتزازية للحبيبات المكونة للتربة"[3].

فالاهتزاز إذن يدل على الحركة والاضطراب والانتقاض، ومن هنا يتضح أن معنى الآية الكريمة: ﴿**وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيهَا المَاءَ اِهْتَزَّتْ**﴾ "أن الأرض تشهد حركة واضطراب عند نزول الماء عليها تكون سببا لإحيائها وإنبات ما فيها من بذور، وهذه الحركة التي وصفها القرآن بمصطلح "**اهتزّ**" هي حقيقة علمية جيولوجية دقيقة فالأرض الساكنة الثابتة إذا ابتل طينها تمدد إلى أعلى واهتز وتحرك أسفله بجذور النبات وشعيراتها"[4]، ففي الأرض يحدث اهتزاز حركي بين جنبات القشرة الأرضية يحرك سكونها ، وليس بالطبع تحرك القشرة الأرضية كلها، فهذا يحدث فقط في الزلزلة، إنما تتحرك حبيبات التربة الدقيقة فقط، وذلك من أجل السماح للماء بالدخول والتسرب بين الصفائح.

في عام 1827 اكتشف عالم بريطاني اسمه "**براون**" أن ماء المطر إذا نزل على التربة أحدث لها اهتزازات، وتربة الأرض الطينية الجافة عند تفتيتها يلاحظ أنها ستصبح حبيبات صغيرة ودقيقة، وعند دراسة هذه الحبيبات تبيّن وجود طبقات من الصفائح المرصوصة بعضها فوق بعض. وتربة الأرض تتكون عادة من معادن الصلصال

---

[1] يراجع ابن فارس، المرجع السابق، ج16، ص9، (مادة هز)

[2] يراجع مفردات الراغب، المرجع السابق، ص741، (مادة هز)

[3] قطب عامر فرغلي، محمد زيدان، عالم النبات، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط4، 2006، ص14، http://www.eajaz.org

[4] فهد خليل زايد، الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، دار النفائس، عمان، ط1، 2008، ص82

المختلطة أو غير المختلطة بالرمل وهي معادن دقيقة الحبيبات، فالذي يهتز هي حبيبات التربة المكونة لها[1]. وهذه الحبيبات كما ذكرت عبارة عن صفائح بعضها فوق بعض من المعادن المختلفة، والصلصال من المعادن الفردية، والمعادن الفردية لها القدرة في الانتشار في غيرها نظرا لدقة حبيباتها كما أن لها القدرة على تشرب الماء، وتحمل الحبيبة على سطحها شحنات كهربائية سالبة أو موجبة تنشأ من الزيادة أو النقصان في الشحنات الكهربائية للوحدات الداخلة في تركيب معدن الطين، فعند نزول المطر على التربة أو عند ريِّها بكميات من الماء تتكون شحنات كهربائية بين الحبيبات بسبب اختلاف هذه المعادن، فتبدأ حبيبات التربة كلها بالاهتزاز، فهذه الشحنات الكهربائية أحدثت حالة التنافر بين الحبيبات ما أدى إلى عدم استقرارها فسبَّب لها حركات اهتزازية، مثل المغناطيس حينما يجذب الحديد؛ لو أن مغناطيسا يجذبه من هنا وآخر من هناك سيبقى الحديد يهتز بين القوى ، ولا يمكن سكون وثبات اهتزاز الحبيبات إلا بعد تعادل شحناتها بأخرى مخالفة لها في الشحنة الكهربائية، فيسمح اهتزاز الحبيبات بمرور الماء بين الصفائح، وكلما كان الماء المختلط بالتربة وفيرا كلما باعد بين حبيبات التربة لمسافات أكبر، وزاد من سرعة حركتها[2].

فهذا المصطلح "**اهتزت**" يصف بدقة حركة حبيبات التربة عند إنزال الماء عليها، وهو وصف معبر عن الحالة التي تحدث للأرض الهامدة بمجرد ريِّها بماء المطر، وهي حركة سجلها القرآن بدقة فائقة قبل أن تسجلها الأبحاث العلمية، ولاشك أن في ذكر هذا المصطلح اللين يعطي باعثا على التفكر، وحافزا على التأمل في هّذه الآيات، إنه مثل حي في بلاغة الأسلوب القرآني في تصوير مشهد اهتزاز الأرض الساكنة الجافة التي خُيِّل للناس أنها ميتة ولا يمكن أن تخضر بالنبات، فبمجرد نزول المطر تتحرك وتهتز وبهذه الحركة تنبعث الحياة فيها من جديد فالاهتزاز شرط ضروري لدخول الماء في التربة، والماء هو أصل الحياة وعنصر ضروري لبقاء الكائنات حية، فلو لم تتحرك حبيبات التربة لظلت الأرض قاحلة جافة لشدة تعطشها للماء.

[1] يراجع يوسف الحاج أحمد، المرجع السابق، ص211

[2] يراجع أحمد متولي، المرجع السابق، ص164و244

2 – رَبَتْ:

يقول الله تعالى:﴿**وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيهَا المَاءَ اِهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**﴾ [الحج5].

وربت من الرباء والربو: وهو الزيادة والنماء والعلو، لكن هناك ربا حلال وربا حرام، هذا الربا الذي في التربة حلال.... وربت أي نمت وانتفخت وزادت في الحجم، تقول من ذلك ربا الشيء يربو: إذا زاد، وربا الرابية يربوها، إذا علاها، وربا: أصابه الرّبو، والرّبو: علو النفس، والرّبوة والرّابية: المكان المرتفع[1]. وربا الشيء يربو ربوّا ورباء: زاد ونما. وأربيته: نمّيته. وربا المال: إذا زاد وارتفع. وأربى على الخمسين ونحوها: زاد. وربا السّويق ونحوه ربوّا: صُبَّ عليه الماء فانتفخ. وقوله عز وجل في صفة الأرض: اهتزت وربت؛ قيل معناه: عظمت وانتفخت. والربو: النفَس العالي. وربا يربوا ربوا: أخده الربو. وربا الفرس إذا انتفخ من عدو أو فزع. والرَّبوة والرِّباوة والرَّابية والرِّباة: كل ما ارتفع من الأرض، وربوت الرابية : علوتها. وأرض مربية: طيّبة[2].

فربو الأرض تعني زيادتها ونمائها بسبب تشرب الماء، وكما سبق ذكره فإن حبيبة الطين متكونة من صفائح متراصة، وبحدوث اهتزاز في التربة بين حبيباتها يسمح بدخول الماء بين صفائحها فيؤدي ذلك إلى تمدد حبيبة الطين وزيادة سمكها بسبب تشرب كمية كبيرة من الماء فتربو الحبيبة إلى أعلى حتى ترق رقة شديدة، وكلما كانت المسافة بين الحبيبات أكبر كلما كان زيادة سمك التربة أكبر، وفي بعض أنواع الطين الإسفنجي سيزداد حجم الحبة الطينية عشرة أضعاف؛ لذلك نجد المهندسين قبل بناء العمارات يتأكدون من حجم تشرب الأرض للماء إذا نزل عليها، لأن الطين سيقلب العمارة عندما ينمو ويربو، فحبيبة الطين إذن ربت بالماء الذي دخلها ، وأصبحت مخزنا له؛ لأن الماء إذا دخل الحبيبة تكوّن غلاف يحيط بها فيخزّن داخلها[3].

أشار القرآن من خلال مصطلح "**ربت**" إلى مظهر مهم للأرض عند نزول الماء ، وهو الربو والنمو بسبب تخزين حبيباتها لكميات هائلة من الماء داخلها، وهو بهذا يكشف لنا عن أن الماء الذي ينزل تحت الأرض يحفظه الله فيها حتى لا يضيع في الأرض وحتى يتغذى عليه النبات والكائنات التي تعيش بداخلها، وقد عبر عن هذه الحقيقة بمنتهى الدقة بمصطلح واحد **ربت** وهو يتوافق تماما مع المعلومات الحديثة لعلم الأرض والبيئة النباتية التي تؤكد حدوث الاهتزاز والربو لحبيبات الطين.

---

[1] يراجع ابن فارس، المرجع السابق، ج2، ص484، (مادة ربا)

[2] يراجع ابن منظور، المرجع السابق، ج14،ص 304، 305، 306، 307 (مادة ربا)

[3] يراجع أحمد متولي، المرجع السابق، ص164و244

3 – أَنْبَتَتْ:

عملية الإنبات هي الآية الثالثة لنزول الماء على الأرض الهامدة، لقد وصف القرآن إنبات البذور وخروج النبتة إلى سطح الأرض بمصطلح "**أنبتت**"، يقول تعالى:﴿ **وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيهَا المَاءَ اِهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾[الحج5]، فالنبتُ والنبات هو ما يخرج من الأرض من الناميات سواء كان له ساق كالشجر، أو من دون ساق كالنجم[1] .

وقد أشرنا سابقا إلى أن حبيبات التربة إذا تشبعت بالماء أصبحت خزانات للماء تحفظه بين هذه الصفائح حتى لا يغور في التراب، كما أن الحبيبة إذا تشبعت بالماء تربو وتنتفخ إلى الأعلى حتى ترق رقة شديدة، فتنشق لتفتح طريقا سهلا لكل من الجذير المندفع إلى الأسفل والسويقة المنبثقة من داخل البذرة إلى أعلى، حتى تتمكن من اختراق التربة بسلام فتظهر على سطح الأرض.

وقد أثبت العلم الحديث أنه عندما يتوافر الماء في التربة تستقي منه البذور والجراثيم والأبواغ، وجميع الأعضاء النباتية القابلة للإنبات فينشط جنين البذرة، فتنبت أعضاؤه وتبدأ ببزوغ الجذير ثم يليه الريشة، كل ذلك يكتمل والبذرة لاتزال تحت التربة، ومع نمو الجذير وانتحائه أرضيا إلى أسفل، تتجه الريشة أو السويقة إلى أعلى رافعة فوقها حبيبات التربة المتراكمة فوقها مخترقة لطبقاتها، ثم تظهر فوق سطح التربة متجهة جهة الضوء[2].

فمصطلح "**أنبتت**" يدل دلالة واضحة على حدوث إنبات للبذور المدفونة في التربة، فمع زيادة هطول الأمطار على الأرض تنتعش كل صور الحياة فيها بما في ذلك البذور النباتية، فيؤدي ذلك إلى خروج سويقات النبات بعد شقت طريقها في هذه التربة الطرية المشبعة بالماء، فتنبت الأرض من كل زوج ذات بهجة .

لقد صورت المصطلحات القرآنية الثلاثة " **اهتزّت وربت وأنبتت**"، آيات ثلاثة تحدث للأرض جراء نزول الماء عليها من السماء وذلك بدقة كبيرة ، وقد صورت هذه المراحل بالتصوير البطيء وأثبتت صدق القرآن الكريم في كل ما أشار اليه في هذه القضية.

وخلاصة القول: فإن حبيبات التربة عند اختلاطها بالماء يؤدي إلى زيادة الأنشطة الكيميائية والفيزيائية فيها مما يؤدي إلى انتفاض مكوناتها وتحرك حبيباتها، ويعني ذلك أن الأرض **اهتزت**.

[1] يراجع مفردات الراغب، المرجع السابق، ص787، (مادة نبت)

[2] يراجع قطب عامر فرغلي، محمد زيدان، المرجع السابق، ص24، 25، 26

وعملية تخزين الماء بين صفائحها يزيد من حجم الحبيبة فتنتفخ وتربو إلى الأعلى لتخزينها لكميات هائلة من الماء اللازم للحياة، وهذا يعطي **معنى ربت**. فتتشرب البذور ومختلف العناصر الأخرى الماء المخزّن في الحبيبات، فيؤدي ذلك إلى إنبات الجنين ببزوغ الجذير إلى الأسفل والسويقة إلى سطح الأرض، هنا تكون الأرض قد **أنبتت** من كل زوج بهيج، فيظهر النبات فوق سطح الأرض من كل الأشكال والألوان والثمرات .وتتم كل هذه الآيات في ترتيب زمني محكم، وفق تسلسل دقيق؛ بحيث لا يمكن أن تظهر آية قبل أخرى، إنما تتم وفق النظام الذي جعله الله فيها والزمن الذي تحدث فيه[1].

فالوصف القرآني دقيق للغاية حيث أعطى لكل ظاهرة التسمية التي تطابقها، فكل ظاهرة في الطبيعة تؤدي وظيفة معينة من أجل استمرار الحياة على الأرض، وهذه الوظائف أو الخصائص التي تميّز نواميس الكون عن بعضها لها دور كبير في اختيار التسميات أو المصطلحات التي تعبّر عنها، فالأرض لم توصف بالاهتزاز والرّبوّ والإنبات إلا لكونها تشهد هذه الحركات الثلاث في باطنها، وهي حركات تتميّز بها عن باقي الآيات الكونية الأخرى. وقد صاغ القرآن هذه الآيات الثلاث في أحسن الألفاظ وألينها وهي مصطلحات متناسبة متناسقة منظمة لخصت ما توصل إليه العلماء من مفاهيم علمية في قرون طويلة، وأنهت المعنى بدقة من دون خلل في الكلام بزيادة أو نقصان.

[1] يراجع قطب عامر فرغلي، محمد زيدان، المرجع السابق، ص29

الخاتمة:

الحمد لله الذي منَّ علي إذ مكنني من إتمام هذا البحث بعد رحلة ممتعة ومتعبة، فقد بحثت في كتاب الله، ورحلت في جنباته العطرة، وتفيأت في ظلاله الوارفة وتنسمت بنسماته العبقة، وقطفت من ثماره اليانعة، وأني لأحسبها كذلك حيث قضيت فترة البحث مصاحبة كتاب الله، وقطفت نتائج حققها الجهد المبذول طيلة العام، والكلام عن إعجاز القرآن يطول ولكنه يقصر عن الإحاطة، على أني قد خلصت إلى مجموعة من النتائج أثبتها فيما يلي:

1. إن موضوع البحث يكتسي أهمية كبيرة، فيجعل قلب الدارس يمتلئ بالرغبة والرهبة معا لأن موضوعه جليل، ويجعل القلوب تنفطر منه، والنفوس تؤخذ من الجوانب، إنه كتاب أعجز أئمة البيان وأرباب البيان اللغة واللسان قديما، أعجزهم على أن يأتوا من مثله، وأعجز علماء القرن العشرين اليوم بدقة مصطلحاته التي تتناول مظاهر الكون وسننه بأسلوب يأسر لبك الجمال والبهاء والروعة.

2. ليست المصطلحات مفاتيح للعلوم فقط، بل هي خلاصة البحث في كل عصر ومصر، وبما أن القرآن أصل للمعارف وينبوع للعلم، فقد وجب على المتخصصين توجيه أنظارهم إلى كتاب الله تعالى من أجل ضبط ما فيه من مصطلحات ومفاهيم، كونها تتناول قضايا ومدلولات متعددة، تمس كل جوانب الحياة وكل أسباب التقدم والنهوض بالحضارة من جديد.

3. أشار القرآن الكريم من خلال آياته إلى جملة من المعارف الكونية وسننه الذي توصل إليها العلم الحديث في قرون متأخرة، حيث تشكل الاكتشافات العلمية الحديثة، ودلالتها في القرآن الكريم محورا أساسيا في قضية توكيد حقائق القرآن الكونية، والكشف عنها، وأن القرآن أثار كثيرا من القضايا التي سبق بها العلم من جهة، وكانت من جهة أخرى إبداعا لمحاور علمية بناءة، وصورا من الإعجاز الخالد، في إثبات مصداقية ومصدرية القرآن وربانيته، وتوثيق الايمان بحجته البالغة، وقد أثبت العلم الحديث أن هناك توافقا بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية، وكشوفاتها الحديثة.

4. صاغ القرآن الكريم هذه الحقائق في مصطلحات دقيقة علمية مبهرة، قدمت للعالم معلومات مهمة عن عناصر الكون وقوانينه، وذلك بلغة سهلة لينة هي اللغة نفسها التي ولد بها الانسان، فجعلته يتأقلم معها بسهولة ويسر، والله سبحانه وتعالى قيَّد هذه الحقائق وما تحويه من مفاهيم ومعاني علمية في مصطلحات لينة

ودقيقة من الناحية العلمية، وسمَّى كل حقيقة بما يناسبها من التسميات، وكل تسمية وإن كانت تصب أو تتناول الحقيقة نفسها؛ فإن كل منها يضئ جانبا مهما من جوانبها العلمية، ويجلي الطريق أمام الباحث في فهم الحقيقة بعمق. في حين العلماء نلاحظ كثرة استعمالهم لمصطلحات قد لا تنتمي إلى فضائها الحقيقي.

5. جميع المصطلحات التي أوردناها من كتاب رب العالمين وافقتها السنن الكونية التي اكتشفها العلم الحديث، وما يزال يكتشف فيها. فحقيقة إغشاء الليل النهار، والطلب الحثيث لكل منهما، بالإضافة إلى مرور الجبال مر السحاب مردّها إلى دوران الأرض حول محورها. وقد كنَّى الله سبحانه وتعالى عن هذه الحقيقة أن صاغ لها مصطلحات تجليها وتكشف عنها. وحقيقة مد الأرض وبسطها إشارة لطيفة إلى شكل الأرض الكروي. في حين كشف التشبيه البليغ للأوتاد بالجبال عن آيات في الجبال وأمور خفية لم يدركها العلماء إلا مؤخرا .

6. وتحدث القرآن كذلك عن خصائص عديدة جعلها الله في السماء من أجل استمرار الحياة على سطح الأرض فوصفها بالرجع وقد أثبت العلم الحديث أن السماء مقسمة إلى طبقات، وكل طبقة ترجع الأخطار التي تهددنا من فوقنا إلى مصدرها، وترجع أشكال الحياة التي تضمن استمرار الحياة على الأرض. ووصفها أيضا بالسقف المحفوظ؛ والسماء من فوقنا سقف سماوي يحفظنا من كل الإشعاعات الخطيرة الصادرة من الكون. وأشار كذلك إلى حقيقة رفعها لكنه نفى الرفع بالعماد لقوله: بغير عمد، وهذا المصطلح بدوره قد كشف عن حقيقة وجود قوى فيزيائية تعمل على تحقيق التوازن في الكون.

7. كما أشار القرآن إلى آيات ثلاث "اهتزت وربت وأنبتت" تحدث للأرض بسبب نزول المطر عليها، تكون سببا لإنبات أنواع متعددة من الأشجار والأزهار والأعشاب؛ والقرآن بالغ مراده في كل ما يستخدمه ويوظِّفه من مصطلحات علمية، وبما أنه خطاب للناس على مختلف ثقافاتهم وأجناسهم فقد بلَّغنا هذه الحقائق في أحسن الألفاظ وألينا .

8. لقد تخيَّر القرآن مصطلحات تشتمل على مفاهيم علمية مطابقة تماما للواقع، كما أنه وصفها وصفا علميا تِبعا للحالة أو الخاصية أو الوظيفة التي تؤديها في الكون، فسمَّى كل ظاهرة بتسمية فتحت معانيها اللغوية الباب أمام فهم أعمق للحقيقة الكونية، كما أنها صورت مشهد الحقيقة بدقة فائقة.

9. دائما يأتي العلماء بمصطلحات حول حقائق علمية، ثم لا تلبث هذه الحقائق أن تتغيَّر وتتبدل، فيحصل العلماء على كومة من المصطلحات العلمية الغير دقيقة علميا باعتراف العلماء أنفسهم؛ في حين المصطلح القرآني

عند تصويره للآيات الكونية دقيق على أيِّ مصطلح ينحته العلماء، إنه يختار لها بنيات لغوية من شدة تطابقها مع المعنى العلمي تحس وكأنها مائدة العلماء، فمصطلح واحد كفيل أن يستغرق العالم حياته كلها في البحث فيه.

10. من بلاغة القرآن تعبره عن قضايا ومدلولات علمية ضخمة وذلك بأوسع مدلول وأدق تعبير في حيِّز يستحيل على البشر أن يأتوا بمثله.

12. لقد تطابقت هذه المصطلحات أتم تطابق مع المعنى العلمي المراد، ويظهر ذلك من خلال إحاطتها بمظاهر الطبيعة في سطحها وأعماقها وخصائصها؛ إذ أن القرآن الكريم يعطي الصورة الجامعة لهذه الحقائق، ويترك التفاصيل لجهود الباحثين والمتخصصين. ومصطلحات القرآن في قمة البلاغة والدقة يتناسب فيها الواقع والتعبير.

13. من بلاغة القرآن أيضا إخراج الألفاظ العربية في حلة جديدة وهو التعبير عن الحقائق العلمية، فعند قراءتها تحس وكأنك تتعرف عليها لأول مرة. لقد عبر القرآن الكريم عن المعاني العلمية في أحسن المصطلحات؛ إذ أنه يقرب من خلالها المعاني والمفاهيم العلمية للقلب والعقل معا، إنها مصطلحات تخاطب الوجدان والروح معا فتحس وكأن المعاني تنساب إليك انسيابا.

14. من خلال الأمثلة السابقة أيضا نلاحظ أن الدقة في اختيار المصطلحات العلمية في القرآن الكرين إنما هو لدقة مدلولها، فقوة اللفظ من قوة المدلول الذي تعبر عنه. والقرآن الكريم سخَّر ألفاظه في التعبير عن أغراض ظلَّت مستحيلة على البشر إلى يومنا هذا وهي الأغراض العلمية. إنه ميدان شاق تقلُّ في الألفاظ وترقُّ. ولا يخفى عليك أن اختيار الألفاظ البارعة للمعاني الجديدة، أعجب وألطف من إيراد اللفظ البارع في المعاني المتداولة.

15. من بلاغة القرآن أيضا اختياره لمصطلحات تتسع لتشمل دلالتها مفاهيم وثقافة كل عصر. فقد راعى القرآن مقتضيات وأحوال كل زمان. فالكلمة القرآنية تختزن من الدلالات والمعاني بقدر أفهام الناس في زمن؛ لكون معجزة القرآن مستمرة باقية إلى أن يرث الله الأرض وما عليها. فالقرآن الكريم راعى في خطابه حال العرب ومعارفهم عند نزوله ضمانا لهدايتهم، واحتوى مع ذلك على الحقيقة الأبدية التي لا تتبدل لقوله تعالى:﴿**لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ**﴾[الروم30].

16. إن القرآن الكريم يحتوي على معان علمية عميقة وأن آياته وكلماته وحروفه كلها متناسبة متناسقة منتظمة، ودرس علماء البلاغة هذا الاعجاز ولم يهتدوا إلا إلى البعض من أسراره، ويدرسه الآن خبراء بالاستعانة بآلات عصرية جدا. حيث وصلت هذه المعاني إلى الإنسان منذ 14 عشر قرنا، ولم تكن قد ذكرت في أية حضارة

من قبل ، ولم يكن الانسان يعرف في ذلك الزمن المعطيات الفلكية البسيطة، وهذا مظهر من مظاهر الاعجاز العلمي.

17. المصطلحات القرآنية يكمن وراءها معنى وهدف، ومميزاته لا يمكن الوقوف عليها إلا بالتدبر والتمعن والبحث.

18. القرآن كله بيان وبلاغة، فمثلما أثر في القدماء بحسن نظمه وصياغته وتناسقه، يؤثر الآن في السامع بالمعنى العلمي الذي تتضمنه المصطلحات والآيات، وكما كان القرآن كتاب الأبد فقد جعل إعجازه البلاغي يتَّسع لما يستجدُّ من نظرات العقل البشري، وأنَّ إعجازه البلاغي لم يكن مقصودا لذاته؛ وإنَّما كان لشدِّ باصرة الإنسان وبصيرته ليعيَ وجوده بالقول الفصل الذي حمل سمة البيان .

وختاما أود أن اشير أن المصطلحات التي اخترتها هي قبس من فيض عطاء القرآن، وعطاء القرآن في الناحية العلمية للكون غزير جدا، هذا ويمكن للباحثين استخراج كثير من المصطلحات العلمية المرتبطة بقضايا إعجازية، تمكنهم من إثبات أصالة القرآن وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وإعجازهما الخالد في الزمان والمكان.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع)

الكتب:

1. البخاري: صحيح البخاري، دار ابن الكثير: دمشق، ط1، 2002.

2. البحراني، السيّد هاشم حسين: البرهان في تفسير القرآن، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، ج1، 2006.

3. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق علي بن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1421هـ.

4. الأصفهاني، الراغب: مفردات ألفاظ الراغب، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط4، 2004.

5. الباقلاني، إعجاز القرآن.

6. الباغندي، الحافظ أبي بكر محمد بن سليمان: أمالي الباغندي، تحقيق أشرف صلاح علي، مؤسسة قرطبة، مدينة الأندلس، ط1، 1997.

7. التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان، ط1، ج1، 1996.

8. ابن تيمية: النبوات، تحقيق عبد العزيز بن صالح، المجلس العلمي في الجامعة الاسلامية، الرياض، ط1، ج2، 2000.

9. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (الرماني والخطابي والجرجاني): تحقيق محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3.

10. الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، ج1، 1998.

11. الجرجاني، السيد محمد الشريف: معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، مكتبة لبنان، بيروت، 1985.

12. ابن الجوزي: نواسخ القرآن، تحقيق محمد أشرف علي الملباري، المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي، المدينة المنورة، ط1، 1984.

13. الجوهري، أبي نصر اسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 2009.

14. الخفاجي، ابن سنان: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1982.

15. حنبل، أحمد بن محمد: المسند، تحقيق حمزة أحمد الزين، دار الحديث، القاهرة، ط1، ج14، 1995.

16. الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد زمولي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، ج2، 1995.

17. السكاكي، أبو يعقوب: مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1987.

18. ابن عاشور، الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج8، 1984.

19. العسكري، أبو هلال: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952.

20. ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ج2 وج4 وج5 وج16.

21. ابن فارس، أحمد: الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1997.

22. القزويني، الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003.

23. ابن قدامة، موفق الدين عبدالله بن أحمد: روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، المكتبة المكية، مكة، المكتبة التدمرية، الرياض، مؤسسة الرَّيان، بيروت، ط1، 1998.

24. الكفوي، أبو البقاء: الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2،1998.

25. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004.

26. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج3و مج8و مج10 ومج12 ومج14.

المراجع:

27. أحمد، يوسف الحاج: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط2، 2003.

28. الألوسي، محمود شكري: ما دلَّ عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان، المكتب الاسلامي، بيروت، ط2، 1972.

29. الأمير، بهاء: النور المبين (رسالة في بيان إعجاز القرآن)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2002.

30. الباش، حسن: الإنسان في ميزان العقل، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس.

31. بدران، عبدالقادر بن أحمد: جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار، تحقيق زهير الشاويش، ط1، 1999.

32. بدوي، أحمد أحمد: من بلاغة القرآن، نهضة مصر، الاسكندرية، 2005.

33. البو شيخي، الشاهد: نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن وعلومه.

34. البو شيخي، الشاهد: مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيّن للجاحظ، دار القلم، الكويت، ط2، 1995.

35. البوطي، رمضان: من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999.

36. الجازم، علي وأمين مصطفى: البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع)، مكتبة البشرى، باكستان، ط1، 2010.

37. الجاويش، محمد إسماعيل: من عجائب الخلق في الكون العظيم، الدار الذهبية، القاهرة، 2005.

38. الجميلي، السيِّد: الإعجاز العلمي في القرآن، دار ومكتبة الهلال، دار الوسام، لبنان، ط2، 1992.

39. جوهر، أحمد المرسي حسين: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بين الآيات القرآنية والنظريات العلمية، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، ط1، 2000.

40. حريز، سامي محمد هشام: نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دار الشروق، عمان، ط1، 2006.

41. الخالدي، صلاح عبد الفتاح: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، الاردن، ط1، 2002.

42. خضر، عبد العليم عبد الرحمن: الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، الدار السعودية، جدة، ط1، 1986.

43. داوود، محمد محمد: كمال اللغة العربية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم، دار المنار، القاهرة.

44. الدوسري، محمود: عظمة القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1426هـ.

45. الرافعي، مصطفى صادق: السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، تحقيق أبي عبد الله البحيري، وائل بن حافظ بن خلف، دار البشير.

46. الرافعي، مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، لبنان، ط9، 1973.

47. الرومي، فهد: تحريف المصطلحات القرآنية وأثره في انحراف التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط1، 2003.

48. زايد، فهد خليل: الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، دار النفائس، عمان، ط1، 2008.

49. زمرد، فريدة: مفهوم التأويل في القرآن الكريم، مركز الدراسات القرآنية، المغرب، ط1، 2014.

50. أبو زهرة، محمد: المعجزة الكبرى القرآن (نزوله كتابته جمعه إعجازه جدله علومه تفسيره حكم الغناء بيه)، دار الفكر العربي، 1970.

51. السامرائي، فاضل صالح: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، ط2، 2002.

52. السامرائي، فاضل صالح: التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط4، 2006.

53. أبو السعود، رفيق: إعجازات حديثة ورقمية في القرآن الكريم، دار المعرفة، دمشق، ط3، 1993.

54. سلطان، مهدي صالح: في المصطلح ولغة العلم، بغداد، 2012.

55. السيف، محمد بن عبد الرحمن: الشيعة وتحريف القرآن، دار الايمان، الاسكندرية.

56. الشعراوي، محمد متولي: معجزة القرآن، إدارة الكتب والمكتبات، ج1.

57. شلبي، هند: التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، رفع المساهم، تونس، 1985.

58. الصواف، محمد محمد: القرآن (أنواره آثاره فضائله خصائصه تفسيره ختمه) مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1987.

59. الصوفي، ماهر أحمد: الموسوعة الكونية الكبرى (آيات الله في الجبال والصحاري والغابات وفي النبات والثمار والأزهار والألوان) المكتبة العصرية، بيروت، ج9و10، 2008.

60. الصوفي، ماهر أحمد: الموسوعة الكونية الكبرى (آيات الله في خلق الكون ونشأة الحياة)، المكتبة العصرية، بيروت، ج3، 2008.

61. عتر، حسن ضياء الدين: المعجزة الخالدة، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ط3، 1994.

62. عتيق، عبد العزيز: في البلاغة العربية (علم المعاني)، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 2009.

63. العثيمين، محمد بن صالح: شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، تحقيق عبد الرحمن النجدي، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الرياض، ط1، 1434هـ.

64. عكاشة، محمود: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2005.

65. العواجي، محمد بن عبد العزيز: إعجاز القرآن عند شيخ الاسلام ابن تيمية مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للباقلاني، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط1، 1427هـ.

66. أبو عودة، عودة خليل: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1985.

67. الغزالي، أبو حامد: التفكر في خلق الله، تحقيق ماهر المنجد، دار الفكر، سورية، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1، 1995.

68. الغمراوي، محمد أحمد: الاسلام في عصر العلم، تحقيق عبد السلام الكرواني، مطبعة السعادة، ط1، 1973.

69. فتوحي، لؤي والدركزلي شذى: التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم (تاريخ بني اسرائيل المبكر)، دار الحكمة، لندن، ط1، 2002.

70. القاسمي، علي: علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، 2008.

71. القرضاوي، يوسف: العقل والعلم في القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1996.

72. الكرماني، محمود بن حمزة: أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق عبد القادر عطا، دار الفضيلة.

73. الكواز، محمد كريم: البلاغة والنقد (المصطلح والنشأة والتجديد)، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، ط1، 2006.

74. الكواز، محمد كريم: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، مكتبة الأعلام والبحوث والنشر بجمعية الدعوة الاسلامية العالمية، بنغازي، ط1، 1426هـ.

75. لاشين، عبد الفتاح: صفاء الكلمة (من أسرار التعبير القرآني)، دار المريخ للنشر، الرياض، 1983.

76. متولي، أحمد مصطفى: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة النبوية، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2005.

77. محيسن، محمد سالم: روائع البيان في إعجاز القرآن، دار محيسن، القاهرة، ط1، 2002.

78. المسدي، عبدالسلام: قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب.

79. مسلم، مصطفى: مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم، الرياض، ط2، 1996.

80. المصلح، عبدالله بن عبد العزيز وآخرون: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (منهج التدريس الجامعي)، دار حياء، جدة، ط1، 2008.

81. المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، ج1، 1992.

82. معبد، محمد أحمد: نفحات من علوم القرآن، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط1، 1986.

79. المنجد، محمد الصالح: التفكر، مجموعة زاد للنشر، جدة، ط1، 2009.

83. أبو موسى، محمد محمد: الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1997.

84. النجار، زغلول: تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1،ج1، ج2، 2007.

85. النجار، زغلول: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط13، ج1، 2008.

86. النجار، زغلول: من آيات الإعجاز العلمي (السماء في القرآن الكريم)، دار المعرفة، لبنان، ط4، 2007.

87. نوفل، عبد الرزاق: الاسلام والعلم الحديث، دار المعارف، مصر، ط1، 1985.

88. هارون، عبد السلام: تهذيب سيرة ابن هشام، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1985.

89. الهاشمي، السيِّد أحمد: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.

90. ياسوف، أحمد: جمالية المفردة القرآنية، دار المكتبي، سورية، ط2، 1999.

الكتب المترجمة:

1. بوكاي، موريس: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة خالد حسن، المكتب الاسلامي، بيروت، ط3، 1990.

المجلات والكتب الالكترونية:

1. مجلة حراء، العدد32، السنة الثامنة (سبتمبر_ أكتوبر) اسطنبول، 2012.

2. فرغلي، قطب عامر وزيدان محمد: عالم النبات، الهيئة العلمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط4، 2006. http://www.eajaz.org/

3. الكحيل، عبد الدائم: أسرار الكون بين العلم والقرآن، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، سورية، ط1، 2002، http://www.kaheel7.com/ar/

4. دعوة الحق، العدد15، السنة الثانية، جمادى الآخرة، 1402هـ.

5. مراياتي، محمد: (المصطلح في مجتمع المعلومات: أهميته وإدارته)، من بحوث المؤتمر الثالث لمجمع اللغة العربية، دمشق، أكتوبر/ تشرين الأول، 2004.

6. المصلح، عبد الله بن عبد العزيز: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط2، 2002، http://www.eajaz.org/

7. المجلة العالمية لبحوث القرآن، العدد2، المجلد1، مركز بحوث القرآن، ماليزيا، 2012.

8. يحي، هارون: المعجزات القرآنية، اسطنبول، http://ar.harunyahya.com/

9. يحي، هارون: فن التأمل، http://ar.harunyahya.com/

10. يحي، هارون: معجزة النبات، تحقيق أورخان محمد علي، http://ar.harunyahya.com/

المقالات:

1. http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=2750

2.

http://www.ahl-alquran.com/arabic/printpage.php?doc_type=1&doc_id=11384

فـــــهرس الـــــمحتويات:

المقدمة.....أ

الفصل الأول: بين القرآن والبلاغة والحقائق العلمية

تمهيد.....7

المبحث الأول: مفاهيم ومصطلحات أولية

1. البلاغة.....9
2. المصطلح.....14
3. القرآن.....17
4. المصطلح القرآني.....20
5. المصطلح العلمي القرآني.....23
6. الحقيقة العلمية 27

المبحث الثاني: القرآن والبلاغة

تمهيد.....30

1. التعبير القرآني.....31
2. دقة اختيار المفردة القرآنية.....34
3. خصوصية المفردة القرآنية.....38

المبحث الثالث: القرآن والحقائق العلمية

تمهيد.....40

1. القرآن والعلم.....41
2. القرآن دعوة إلى التفكير في آيات الله الكونية.....45

3. حقائق علمية كشف عنها العلم الحديث.....48

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لمجموعة من المصطلحات القرآنية العلمية

تمهيد.....52

المبحث الأول: الأرض في القرآن

تمهيد.....56

1. يغشي الليل النهار.....58
2. حثيثا.....60
3. مرّ السحاب.....62
4. مدّ الأرض.....64
5. الجبال أوتادا 66

المبحث الثاني: السماء في القرآن

تمهيد.....68

1. ذات الرَجع.....69
2. السقف المحفوظ.....72
3. بغير عمد 74

المبحث الثالث: النبات في القرآن

تمهيد.....76

1. اهتزَّت.....77
2. ربت.....79
3. أنبتت.....80

خاتمة.....82

قائمة المصادر والمراجع.....86

فهرس المحتويات.....95